نموذج رقم (1)

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

منهج سورة سبأ في تدبر العقيدة

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب: همام محمد سالم أبو رك

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: ١٤٣٧/٣/٥ هـ الموافق ٢٠١٥/١٢/٢٦ م

الجامعـــــــة الإســـــــلامية بغـــــزة
الدراســـــــــــات العليـــــــــا
كليـــــــة أصـــــــول الـــــــدين
قســـم العقيـــدة والمـــذاهب المعاصـــرة

منهـج سُـورَة سبـأ في تَقْـرِيـرِ العَقِيـدَة

The evidence of belief in Surat Saba approach

إعداد الطالب /

همَّام حمدان أبو روك.

إشراف الأستاذ الدكتور/

نسيم شحدة ياسين.

قُدِّم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة.

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ج س غ/35/

التاريخ Date 2015/12/02

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **همام حمدان سالم أبو روك** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

منهج سورة سبأ في تقرير العقيدة

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الأربعاء 20 صفر 1437هـ، الموافق2015/12/02م الساعة الواحدة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. نسيم شحدة ياسين	مشرفاً و رئيساً	.....
أ.د. محمود يوسف الشوبكي	مناقشاً داخلياً	.....
د. عبد الله علي الملاحي	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف على المناعمة

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾

[سورة سبأ: ١٣]

إهـداء

إلى والدَيَّ العزيزين العظماء... وإخوتي الكرماء...

إلى كل من علمني حرفاً... وأعطاني مما أعطاه الله علماً...

إلى الدعاة أحاسن الناس أقوالاً وأفعالاً...

الذين يدعون إلى سبيل الله تعريفاً وإبصاراً...

إلى المصلحين حرَّاس القرى من أهلها الظالمين...

إلى المرابطين على الثغور المخلصين...

المجاهدين في سبيل الله العابدين...

إلى الشهداء المجاهدين... الفائزين برفقة الصالحين والنبيِّين...

إلى أصدقائي المخلصين... أحبتي في الله الصالحين...

إلى فلسطين وغزة عزة المسلمين...

وخزاعة قاهرة الغزاة المعتدين...

شكر وتقدير

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله الطيبين، وأمهات المؤمنين، وبعد :

الشكر ابتداءً وانتهاءً لله المعطي الكريم، فنعمه باطنة وظاهرة، ومِنَنُهُ عليَّ وفيرة سابغة باهرة، وعونه لي كبير، وتوفيقي به عظيم، فله الحمد والشكر على فضائله عليَّ التي لا يعدها ولا يحصيها أحد ولو تفرغ لعدها الخلق.

ومن شكره ﷻ وعملاً بقول نبيه ﷺ : "**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ**"[1]، أتقدم بالشكر والعرفان لفضيلة الأستاذ الدكتور : نسيم شحدة ياسين – حفظه الله ورفع بالإسلام قدره– لإشرافه على هذه الرسالة، والذي لم يدخر جهداً في توجيهي ونصحي لِيصلَ هذا البحث إلى النور رغم إنشغاله الكثير وضيق وقته والشكر موصول لفضيلة الشيخ أ.د محمود الشوبكي، الذي تتلمذت على يديه في البكالوريوس والماجستير وتشرفت بمناقشته لي في هذه الرسالة ولفضيلة الشيخ د. عبد الله الملاحي على مناقشته لي في هذه الرسالة، والشكر أيضاً لفضيلة الشيخ أ.د. صالح الرقب وفضيلة الشيخ أ.د محمد بخيت لما قدماه لي من علم ونصح وتوجيه عند شروعي في وضع خطة البحث، لذلك أقول لكل منهم "جزاك الله خيراً" لما علمنَّا النبيﷺ إذ يقول: " **مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ** " [2].

---

[1] رواه الترمذي في سننه (سنن الترمذي) – محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) – ت: أحمد محمد شاكر – ومحمد فؤاد عبد الباقي – وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط٢ – ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م – أبواب البر والصلة – باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك– ح (١٩٥٤) – ج٤ – ص٣٣٩، وقال : "هذا حديث صحيح"، وقال الألباني : "صحيح".

[2] رواه الترمذي في سننه – أبواب البر والصلة – باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه – ح (٢٠٣٥) – ج٤ – ص٣٣٠ ، وقال : " حديث حسن جيد غريب " ، وقال الألباني : "صحيح".

كما أتقدم بالشكر الجزيل لمن كانوا سبباً بفضل الله في وصولي إلى ما وصلت إليه من علم وحال، لمن صبروا عليَّ والديّ العزيزين والدي الشيخ حمدان سالم أبوروك الذي حثني على السير في طريق العلم الشرعي ولم يألُ جهداً في ذلك، ووالدتي التي لم تبخل علي بوقت ولا جهد لمعاونتي في إتمام بحثي هذا، أدامكم الله بخير وألبسكم ثوب الصحة والعافية والرضى.

والشكر موصول لأشقائي الكرماء لدعمهم لي في الاستمرار في الدراسة، وأنا بهذا لم أوفِ حقهم وأخص بالذكر منهم أخي م. عمر أبو روك، فجزاكم الله خيراً.

والشكر الوفير لجامعتي هذه لإدارتها، وعمادة الدراسات العليا وبالخصوص كلية أصول الدين وقسم العقيدة بشكل أخص، فقد كانوا خير معين لطلبتهم.

وأخيراً أشكر كل من كان معيناً لي في إتمام هذا البحث خاصة فضيلة الشيخ أ.محمد فسفوس الذي تتلمذت على يديه في حلقات القرآن عند الصغر ورافقته في دراسة الماجستير ليكن لي معلماً ومعينا، والشكر كذلك لأخي الشيخ عيسى العقاد لعونه لي في هذا البحث، وإخواني القائمين على مسجد التقوى بخزاعة، ففيه كُتِبَتْ كلمات بحثي هذا، والشكر موصول لكل من قدم لي عوناً يسيراً أو عرض علي العون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث /

همّام حَمدان أبو رُوك

مُقَدِّمَة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:١] والصلاة والسلام على رسول الله الذي أرسله ربه إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن علم العقيدة هو أشرف العلوم وأعظمها وأعلاها، وإن حاجة العباد إلى علم العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة ؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له وما ينزه عنه، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه، ولا حياة لها في الإسلام إلا بمعرفة أركان هذا الدين فتعرف الأنبياء وما حملوه، الجنة والنار وطريق الوصول، وتعرف القدر والغيب وما يحدوه.

وإن هذا العلم لم نصل إليه إلَّا من خلال كتاب الله –سبحانه– وما صح من أحاديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم–، فلا عقيدة صحيحة بدون كتاب الله وسنة رسوله؛ ولذلك ندرس اليوم منهج سورة من سور القرآن الكريم التي تقرر لنا العقيدة الإسلامية بدءاً بتوحيد الله سبحانه بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بالملائكة المقربين والرسل المكرمين عليهم أفضل صلاة وأتم تسليم، واليوم الآخر وما فيه من مشاهد وأحداث، والقدر خيره وشره، إلى غير ذلك من مسائل العقيدة الإسلامية المتعلقة بهذه الأركان وما يجب على المسلم اعتقاده.

وإنَّا مأمورون بالإيمان والتسليم والخضوع والعبودية لله، فقد أمر الله ﷻ بذلك جميع خلقه إنسهم وجنهم، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٣]، وبذلك أيضاً أرسل الله –سبحانه– رسله فقال جلَّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:٢١]، وختمت النبوة والرسالات بنبي الرحمة محمد صلوات الله وسلامه عليه للناس جميعاً قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ:٢٨].

واليوم أنظر في هذا البحث في سورة من سور القرآن الكريم أقف مع منهجها في تقرير العقيدة وفي ذلك أقف مع كل آية أبحث عن منهج للسورة في إثبات مسألة عقدية، وفي الوقت ذاته أستشهد بالأحاديث الصحيحة التي وردت في الآيات وإلى أقوال المفسرين فيها متبعين منهج السلف –رضوان الله عليهم –.

وقد سميت هذا البحث: " **منهج سورة سبأ في تقرير العقيدة** " وشرعت فيه سائلاً المولى سبحانه التوفيق والسداد.

ثانياً: مشكلة الدراسة:

وفي ضوء ما سبق فإن مشكلة الدراسة تحدد من خلال الأسئلة التالية:

- هل من مخلوق يعلم الغيب مثل الجن والشياطين ؟ وكيف إثبات بطلان ذلك؟
- هل الشيطان يضل العباد بقدرته، قال تعالى: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [سورة ص:٨٢،٨٣] وقد أضلَّ عدد من العباد؟
- إذا تحللت أجسادنا هل نحن مبعوثون بعد ذلك ؟ وكيف يكون ؟
- هل يكون إنعام الله على العبد إشارة إلى رضاه عنه ؟ وإذا كان العبد معسراً فهل يكون ذلك دليلاً على سخط الله عليه ؟
- عَبَد فريق من المشركين الملائكة وقال الله في سورة الصافات: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ**﴾ فهل الملائكة الذين عبدوهم يعذبون بجرمٍ لم يرضونه ولم يرتكبونه؟
- هل يجوز أن نجادل من كفر أو أشرك بالله سبحانه ونحاوره ؟

رابعاً: أهمية الدراسة:

- تكمن أهمية دراسته في كون هذا البحث يتعلق بالشق الأول من مصدر التشريع الأول الوحي وهو القرآن.
- ومما يزيد الموضوع أهمية أنه يأتي في أعظم علم من علوم هذا الدين وأهمها وهو العقيدة الإسلامية.

- توجيه تقرير السورة للمعتقدات حسب فهم السلف في الرد على مخالفي ما قررته السورة.
- إظهار ما اختصت به السور المكية في تقرير العقيدة.
- القصص القرآني وما فيها من دلالات عقدية.

خامساً: الدافع لاختيار الموضوع:

* استنباط المضامين العقدية من نبعها الأصلي القرآن الكريم إظهاراً لشيء من إعجاز القرآن العظيم خاصة في سورة سبأ وبيان تقريرها العقيدة.

* بيان جانب مهم من جوانب العقيدة الإسلامية التي تقررها سورة سبأ.

* الذود عن الشبه المثارة حول التوحيد و النبوة والقرآن والبعث، باتباع منهج السورة في الذود عنها.

سادساً: منهج البحث:

اتبع الباحث في كتابة البحث المنهج الوصفي التحليلي.

سابعاً: عملي في البحث:

١. جمع الآيات الدالة على موضوعات العقيدة الإسلامية في السورة، وبعد ذلك دراسة الآيات التي تم جمعها بالرجوع إلى كتب ومراجع تفسير القرآن الكريم، وكتب السنة النبوية والعقيدة.
٢. عزو الآيات القرآنية إلى سورها ووضعها بين قوسين ﴿ ﴾، مع ذكر أرقام هذه الآيات.
٣. تخريج الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة: فإذا كان في الصحيحين أو أحدهما يشار إلى موضعه فيهما، وإذا لم يكن في الصحيحين أجهد في تخريجه من كتب السنة الأخرى ناقلاً قول العلماء في الحكم عليه.
٤. اتباع منهج السلف في فهم العقيدة الاسلامية.
٥. في حالة تطابق بين المصدر أو المرجع والذي يليه في الحاشية، يتم التعبير عن المصدر أو المرجع التالي بعبارة: (المصدر السابق) أو (المرجع السابق) مع ذكر رقم الجزء والصفحة فقط إذا كان فيهما اختلاف بين المصدرين.

٦. ذكر اسم المصدر، والمرجع في المرة الأولى كاملاً، وأختصره بما يعرف به في المرات الأخرى.
٧. عزو النصوص والمعلومات إلى مصادرها الأصلية.
٨. استخدام بعض الرموز للاختصار وهي:
- (ج): الجزء.
- (ص): رقم الصفحة.
- (ت): اسم المحقق.
- (ط): رقم الطبعة.
- (ح) : رقم الحديث.

٩. عمل فهارس خاصة للمصادر والمراجع، بالترتيب الهجائي التصاعدي، وفهارس الآيات والأحاديث والموضوعات.

سابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري عن دراسات سابقة من هذا النوع تبين – على حد علم الباحث – أنه لا يوجد بحث في سورة سبأ إلا أنه توجد بعض الدراسات التي تبحث عن مسائل عقدية من خلال سور أخرى في القرآن بشتى موضوعاتها، كالتوحيد، والقدر، والبعث، وهي كثيرة.

ولم يتبين للباحث أي أبحاث أخرى كتبت في منهج سورة سبأ في تقرير العقيدة

ثامناً: خطة البحث:

وتحتوي على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول قسمت كل فصل منها إلى مباحث و وقسمت كل مبحث إلى مطالب، وختمتها بخاتمة، وهي على النحو التالي:

المقدمة: وفيها بيانُ أهميَّة البحث وأسباب اختياره، ومنهج البحث.

التمهيد: التعريف بسورة سبأ وبيان موضوعاتها الرئيسة:

- أولـاً: تعريف عام بسورة سبأ.

- ثانياً: سبب التسمية.
- ثالثاً: موضوعاتها الرئيسة.
- رابعاً: بيان أهميتها.
- خامساً: تعريف العقيدة والإلهيات والنبوات والغيبيات.

الفصل الأول: منهج سورة سبأ في تقرير الإلهيات.

وتحدثت فيه عن ما يتعلق بالتوحيد والأسماء والصفات والشكر والكفر من خلال ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: منهج سورة سبأ في تقرير التوحيد. وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً.
  - المطلب الثاني: منهج السورة في تقرير عقيدة التوحيد وإبطال ما سواها
- **المبحث الثاني: دلالة سورة سبأ على الإيمان بأسماء الله وصفاته. وفيه أربعة مطالب:**
  - المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات لغة واصطلاحاً.
  - المطلب الثاني: موقف السلف ومنهجهم في إثبات الأسماء والصفات.
  - المطلب الثالث: الأسماء التي وردت في سورة سبأ.
  - المطلب الرابع: صفات الله العلى التي وردت في سورة سبأ.
- **المبحث الثالث: الشكر والكفر بالنعم في سورة سبأ. وفيه أربعة مطالب:**
  - المطلب الأول: الشكر والكفر لغة واصطلاحاً.
  - المطلب الثاني: الشكر والكفران في سورة سبأ.
  - المطلب الثالث: وجوب الشكر، والنهي عن الكفر.
  - المطلب الرابع: فضل الشكر.

الفصل الثاني: منهج سورة سبأ في تقرير النبوات.

وتحدثت فيه عن ما يتعلق بالأنبياء والقرآن وذلك في أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: الأنبياء – عليهم السلام – ووظائفهم في سورة سبأ. وفيه خمسة مطالب:**
  - المطلب الأول: تعريف النبي والرسول في اللغة والاصطلاح.
  - المطلب الثاني: الأنبياء في سورة سبأ.
  - المطلب الثالث: ذكر النبي محمد– صلى الله عليه وسلم– في سورة سبأ.
  - المطلب الرابع: تفاضل الأنبياء في سورة سبأ
  - المطلب الخامس: منهج سورة سبأ في إثبات أن الرسل لم يأتوا بما تحيله العقول.
- **المبحث الثاني: اتهامات المشركين للرسول– صلى الله عليه وسلم– في سورة سبأ. وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأول: اتهامات المشركين للنبي– صلى الله عليه وسلم– في سورة سبأ.
  - المطلب الثاني: منهج سورة سبأ في الرد على المستهزئين والمكذبين للنبي – صلى الله عليه وسلم.
- **المبحث الثالث: منهج سورة سبأ في تقرير الشفاعة لمن أذن له.وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: الشفاعة لغة واصطلاحاً.
  - المطلب الثاني: الشفاعة التي نفتها سورة سبأ.
  - المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في إثبات الشفاعة.
- **المبحث الرابع: منهج سورة سبأ في التقرير بأن القرآن من عند الله والرد على الطاعنين. وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.
  - المطلب الثاني: الطعون الموجهة للقرآن في سورة سبأ.
  - المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في الرد على الطعون الموجهة للقرآن.

الفصل الثالث: منهج سورة سبأ في تقرير الغيبيات.

وتحدثت فيه عن منهج السورة في تقرير البعث وعقيدة القضاء والقدر والجزاء والعقاب وذلك من خلال ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: منهج سورة سبأ في تقرير البعث والرد على المنكرين. وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: تعريف الساعة والبعث.
  - المطلب الثاني: إنكار المشركين قيام الساعة والبعث في سورة سبأ.
  - المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في إثبات الساعة والرد على المنكرين.
- **المبحث الثاني: منهج سورة سبأ في تقرير عقيدة القضاء والقدر. وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأول: القضاء والقدر لغة واصطلاحاً.
  - المطلب الثاني: منهج سورة سبأ في تقرير مراتب القضاء والقدر.
- **المبحث الثالث: منهج سورة سبأ في إثبات الجزاء للمؤمنين والعقاب للظالمين. وفيه ثلاثة مطالب:**
  - المطلب الأول: تعريف الجزاء والعقاب لغة واصطلاحاً.
  - المطلب الثاني: الجزاء (الثواب) في سورة سبأ.
  - المطلب الثالث: العقاب في سورة سبأ.

خاتمة: وتشمل نتائج البحث وتوصياته.

تمهيد

التعريف بسورة سبأ وبيان موضوعاتها الرئيسة

- أولاً : تعريف عام بسورة سبأ.
- ثانياً : سبب التسمية.
- ثالثاً : موضوعاتها الرئيسة.
- رابعاً : بيان أهميتها.
- خامساً : تعريف العقيدة والإلهيات والنبوات والغيبيات.

أولاً: تعريف عام بسورة سبأ.

سورة سبأ مكية في قول الجميع عدا الآية السادسة: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ: ٦]. مختلف فيها أهي مكية أم مدنية ؟ [١]

قالت فرقة إنها مدينة، وقالوا إن المراد بالذين أوتوا العلم هم من أسلم بالمدينة من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام –رضي الله عنه، قاله الضحاك والكلبي –رحمهما الله. [٢]

واستدل من قال بأنها مدنية بما جاء في الإتقان على ما رواه الترمذي عن عَنْ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ المُرَادِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أُقَاتِلُ مَنْ أَدْبَرَ مِنْ قَوْمِي بِمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ؟ فَأَذِنَ لِي فِي قِتَالِهِمْ وَأَمَّرَنِي... قَالَ: وَأُنْزِلَ فِي سَبَإٍ مَا أُنْزِلَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا سَبَأٌ... الحديث "[٣]، وقيل إنَّ فروة هاجر بعد إسلام ثقيف فكان سنة تسع، فهذا يدل على أن القصة مدنية، قاله ابن الحصار – رحمه الله. [٤]

---

[١] انظر: تفسير القرطبي (تفسير القرطبي) – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) – ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – ط٢ – دار الكتب المصرية – القاهرة – ج١٤ – ص٢٥٨، التفسير الوسيط للقرآن الكريم – محمد سيد طنطاوي – دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة – ط١ – ج١١ – ص٢٥٩.

[٢] انظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون – أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) – ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ج٤ – ص٤٣١، أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) – ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٨ هـ – ط١ – ج٤ ص٢٤١، تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٥٨.

[٣] رواه الترمذي في سننه– أبواب تفسير القرآن – باب ومن سورة سبأ– ح (٣٢٢٢) – ج٥ – ص٣٦١، وقال حديث حسن غريب، وقال الألباني: حسن صحيح.

[٤] انظر: الإتقان في علوم القرآن – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – ت: محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م – ج١ – ص٦٣.

وقالت فرقة أخرى إنَّ الآية السادسة من السورة هي مكية المراد بالذين أوتوا العلم هم أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- وهو قول ابن عباس وقتادة -رضي الله عنهما.[١]

واختلف في ترتيب سورة سبأ في المصحف وحسب نزولها.

فمنهم من قال إنها بعد سورة لقمان وهي السورة السابعة والخمسون في ترتيب النزول والرابعة والثلاثون في ترتيب المصحف.[٢]

ومنهم من قال هي السورة الثامنة والخمسون في ترتيب السور، وإنها نزلت بعد سورة لقمان وقبل سورة الزمر وروي هذا القول عن جابر بن زيد -رحمه الله.[٣]

وعدد آياتها خمس وخمسون آية في المصحف الشامي، وأربع وخمسون آية في غيره.[٤]

وعن مقاتل-رحمه الله: أن سبب نزولها أن أبا سفيان لما سمع قوله تعالى ﴿ **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٣] قال لأصحابه: كأن محمدا يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبدا، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ** ﴾ [سورة سبأ: ٣] الآية. وعليه فما قبل الآية المذكورة من قوله: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا**

---

[١] انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور - عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) - دار الفكر - بيروت - ج٦ - ص٦٧٣، تفسير القرطبي - ج١٤ - ص٢٥٨.

[٢] انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم - ج١١ - ص٢٥٩.

[٣] انظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤هـ - ج٢٢ - ص١٣٤.

[٤] انظر: الإتقان في علوم القرآن - ج١ - ص٢٣٦.

يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ [سورة سبأ: ١، ٢] تمهيد للمقصود من قوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ﴾. [١]

ثانياً: سبب التسمية.

سورة سبأ اشتهرت بهذا الاسم، ولم أقف على اسم آخر في كتب التفسير وعلوم القرآن مما مررت عليه من مراجع.

ووجه تسميتها به أنها ذكرت فيها قصة أهل سبأ. [٢]

ثالثاً: موضوعات سورة سبأ الرئيسة.

شملت سورة سبأ على موضوعات العقيدة الرئيسة: الألوهيات والنبوات والغيبيات.

فتقرر السورة توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝٢﴾ [سورة سبأ:١،٢].

وأن الشفاعة لا تكون لمخلوقٍ إلا لمن يأذن له الله –سبحانه: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٣].

---

[١] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٣٤، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) – ت: علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٥ هـ – ج١١ – ص٢٧٧.

[٢] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٣٤، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) – ت: محمد علي النجار – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – ج١ – ص٣٨٢.

وتقرر السورة النبوات والبعث قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِى إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِى الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ۝٨﴾ [سورة سبأ:٦-٨].

وتتحدث السورة عن الصلاح والشكر والإيمان سبب لحصول الجزاء والنعيم، وأن الكفر والعصيان إذن بنزول العقاب قال تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِى آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ۝٥﴾ [سورة سبأ:٤،٥]..[١]

رابعاً: أهمية سورة سبأ.

وتكمن أهمية السورة فيما تقرره من أصول العقيدة، فتدلل السورة من خلال ما فيها من قصص وجدال على توحيد الله -جل في علاه-، فتبطل قواعد الشرك الأربعة كلها، فتبطل أن مع الله خالق شريك، ولا معين، ولا ند، حتى لا وسيلة لله فيما يعبده المشركون.[٢]

وتثبت السورة توحيد الأسماء والصفات، فتثبت لله أسماءً حسنى، وتدلل على صفاته العليا، وتفرده سبحانه بما اختص به كعلم الغيب، وصدق القرآن فيما جاء به.

وتثبت كذلك السورة البعث الذي ينكره المشركون فلا يؤمنون بيوم يتلاقون فيه أمام خالقهم ؛ يحاسبهم على ما قدموا من عمل في حياتهم الدنيا، فترد عليهم بردود متنوعة الأساليب ليعيها ذوو الأفهام المختلفة فلا يقف محتاراً ولا منكراً إلا مكابر معاند، وهذا في كل القضايا التي تثبتها السورة.

---

[١] انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) - دار الشروق - بيروت- القاهرة - ط١٧ - ١٤١٢ هـ- ج٥ - ص٢٨٨٨.

[٢] انظر: التحرير والتنوير - ج٢٢ - ص١٣٤.

وتقرر نبوة النبي– صلى الله عليه وسلم– وصدقها، وتبطل ما أساء به المشركون للنبي– صلى الله عليه وسلم– مما نسبه إليه المشركون من صفات عيب ونقص.

خامساً: تعريف العقيدة والإلهيات والنبوات والغيبيات.

١– تعريف العقيدة في اللغة والاصطلاح.

- العقيدة لغة:

عقد: "العَقْد: نَقِيضُ الحَلِّ؛ عَقَدَه يَعْقِدُه عَقْداً وتَعْقاداً وعَقَّده." وَيُقَالُ: عَقَدْتُ الْحَبْلَ، فَهُوَ مَعْقُودٌ أي مشدود، واعتقدَ الشيءُ: صَلُبَ وَاشْتَدَّ. وتَعَقَّد الإخاءُ: اسْتَحْكَمَ. [١]

وعُقْدَةُ كُلِّ شَيْءٍ: إِبْرَامُهُ وإِحْكامُهُ. [٢]

العَقيدة: " وجمعها عقائد، وهي ما عَقد عليه القلب واطمأن إليه." [٣]

ومن التعريفات أن العقيدة هي الاعتقاد الذي يستحكم من قلب صاحبه فيصلب عليه سواء كان هذا الأمر صواباً أو خطأ، خيراً أو شراً.

- العقيدة اصطلاحاً:

" هي الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه سلف الأمة، والتسليم لله –تعالى– في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله– صلى الله عليه وسلم– بالطاعة والتحكيم والاتباع ".[٤]

---

[١] انظر: لسان العرب – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) – دار صادر – بيروت – ط٣ – ١٤١٤ هـ – ج٣ – ص٢٩٩ .

[٢] العين – أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) – ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال – ج١ – ص١٤٠.

[٣] معجم لغة الفقهاء – محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي – دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – ط٢ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م – ج١ – ص٣١٨.

[٤] شرح أصول العقيدة – أ. د. نسيم ياسين – ط٦ – ٢٠١١م – ص٤.

ومن التعريف اللغوي يمكن أن تُعرف العقيدة الإسلامية: هي ما يدين به الإنسان لربه ويعتقد به اعتقاداً جازماً يستحكم من قلبه، ويصلب ويشتد عليه، فيسلم وينقاد لأمور الإلهيات والنبوات والغيبيات.

٢- تعريف الإلهيات في اللغة والاصطلاح.

- الإلهيات في اللغة:

إله مفرد وجمعه آلِهة، ويستخدم لكل ما يُعبد بحق أو بغير حق، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ**﴾ [سورة المؤمنون: ٩١]. [١]

وعُرف في مختار الصحاح بمعنى عِبَادة ومَعْبود: " (أَلَهَ) يَأْلَهُ بالفتح فيهما (إِلَاهَةً) أَيْ عَبَدَ. ومنه قرأ ابن عباس -رضي الله عنهما- ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾ بكسر الهمزة أي (وَعِبَادَتَكَ)، وكان يقول إن فرعون كان يُعْبَدُ. وَمِنْهُ قَوْلُنَا اللَّهُ وَأَصْلُهُ (إِلَاهٌ) على فِعَالٍ بمعنى مَفْعُولٍ؛ لأنه مَأْلُوهٌ أي مَعْبُودٌ كقولنا: (إِمَامٌ) بمعنى (مُؤْتَمٌّ بِهِ)" [٢]

والإلهيّات: "ما يتعلّق بذات الإله وصفاته، وعلم الإلهيات: علم يتعلق بذات الإله"[٣]

---

[١] انظر: لسان العرب – ج١٣ – ص٤٦٨ .

[٢] مختار الصحاح – زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) – ت: يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا – ط٥ – ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م – ص٢٠.

[٣] معجم اللغة العربية المعاصرة – د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) – عالم الكتب – ط١ – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م – ج١ – ص١١٣.

- الإلهيات في الاصطلاح:

الإلهيّات: ما يتعلّق بذات الله من عقائد وأسمائه وصفاته وأفعاله فيثبت ما أثبته الله من صفات الكمال الذاتية والفعلية إثباتاً جازماً لا شك فيه، وينزه عن كل صفة نقص لا تليق به –سبحانه. [١]

٣– تعريف النبوات في اللغة والاصطلاح.

سيأتي تعريف النبي في اللغة والاصطلاح في موضعه من هذا البحث وأكتفي هنا بذكر معنى النبوات كعلم في الاصطلاح. [٢]

- النبوات في الاصطلاح:

النبوات علم يتعلق بالعقائد الواجب الاعتقاد بها حول الأنبياء –عليهم السلام–، والرسالات السماوية، من الإيمان بهم وبكتبهم ومعجزاتهم وما يجب تنزيههم عنه. [٣]

٤– تعريف الغيبات في اللغة والاصطلاح.

- الغيبيات في اللغة:

الغيبيات من غَيْب الغِيبةُ: من الاغْتيابِ، والغَيْبةُ من الغَيْبُوبة، وهو ما غاب عنك. [٤]

وعرفه ابن منظور: " الغَيْبُ: الشَّكُّ، وَجَمْعُهُ غِيابٌ وغُيُوبٌ " [٥]

---

[١] انظر: تبسيط العقائد الإسلامية – حسن محمد أيوب (المتوفى: ١٤٢٩هـ) – دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان – ط٥ – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م – ص٣٥.

[٢] انظر: هذا البحث ص٨٧.

[٣] انظر: إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) – ت:جماعة من العلماء بإشراف الناشر – دار الكتب العلمية – لبنان – ط١ – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م – ص٢٥.

[٤] انظر: العين – ج٤ – ص٤٥٤، مختار الصحاح – ص٢٣١.

[٥] لسان العرب – ج١ – ص٦٥٤.

- الغيبيات في الاصطلاح:

عرفها ابن العربي– رحمه الله: "ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر" [١]

وتسمى أيضاً (السمعيات): وهي ما تعرف عن طريق الوحي كالجنة أو النار وأحوال يوم القيامة. [٢]

ومن التعريف اللغوي هو كل خبر أخبر به الشرع الحكيم مما جاء في الكتاب وصحيح السنة كحياة البرزخ والبعث بعد الموت وأحوال يوم القيامة والجنة وما فيها وكيف هي حياة أهلها والنار وما فيها وحياة أهلها.

---

[١] انظر: أحكام القرآن – القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط٣ – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م – ج١ – ص١٥.

[٢] انظر: المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار) – الناشر: دار الدعوة – ص٤٥٠.

الفصل الأول

منهج سورة سبأ في تقرير الإلهيات

ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج سورة سبأ في تقرير التوحيد.

المبحث الثاني: دلالة سورة سبأ على الإيمان بأسماء الله وصفاته.

المبحث الثالث: الشكر والكفر بالنعم في سورة سبأ.

المبحث الأول:

منهج سورة سبأ في تقرير التوحيد.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: منهج السورة في تقرير عقيدة التوحيد وإبطال ما سواها

المبحث الأول:

منهج سورة سبأ في تقرير التوحيد.

المطلب الأول: تعريف التوحيد والشرك لغة واصطلاحاً:

أولاً: التوحيد لغةً:

"وحده وأحده كما يقال ثنَّاه وثلثه" [١]

وعرفه الجرجاني: " التوحيد في اللغة هو الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد."[٢]

وعُرِّف التوحيد في اللغة بأنه " إسقاط الإضافات ؛ أي لا تضيف شيئا من الأشياء إلى غير الحق سبحانه " [٣]

"ووَحَّدَهُ تَوْحِيداً: جَعَلَهُ واحِداً، ويَطَّرِدُ إلى العَشَرَةِ"[٤].

فيظهر أن المعاني تجتمع على أنه في اللغة يعني إفراد الشيء وجعله واحداً.

ثانياً: التوحيد اصطلاحاً:

ومن التعريف اللغوي يظهر أن توحيد الله هو القول بأن الله سبحانه واحد لا شريك له، لا خالق ولا رازق إلا هو، وتفرد بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

---

[١] لسان العرب – ج٣ – ص٤٤٨.

[٢] التعريفات – ص١٢٨.

[٣] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم – محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) – ت: د. علي دحروج – مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ط١ – ١٩٩٦م. – ج١ – ص١٧٧.

[٤] القاموس المحيط – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) – ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – محمد نعيم العرقسُوسي – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – ط٨ – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م – ص٣٢٤.

فالتوحيد: " شهادة أن لا إله إلا الله، ونفي الألوهية عما سوى الله ويثبتها لله وحده " [١]

وعرفه الطحاوي –رحمه الله: "إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره "[٢]

وعرفه صاحب البيان –رحمه الله: " توحيده في ربوبيته وتوحيده جل وعلا في عبادته وتوحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته"[٣]

ومنه ما جاء في الحديث أن الرسول– صلى الله عليه وسلم– لما كان في طريقه إلى الحج أهل بالتوحيد " لبيك اللهم، لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك".[٤]

ثالثاً: الشرك لغة:

شَرَكَ: "الشِّرْكَةُ والشَّرِكة والشِّرْك بمعنى المُشاركة وتكون بين اثنين أو أكثر".[٥]

---

[١] شرح ثلاثة الأصول – محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) – دار الثريا للنشر – ط٤ – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م – ص٣٩.

[٢] تخريج العقيدة الطحاوية – أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) – ت: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٢ – ١٤١٤ هـ – ص٣١.

[٣] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) – دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ – ج٣ – ص١٧.

[٤] رواه مسلم في صحيحه – المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم) – مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – ت: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت– كتاب الحج – باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم– ح (١٢١٨) – ج٢ – ص٨٨٦.

[٥] انظر: لسان العرب – ج١٠ – ص٤٤٨، القاموس المحيط – ص٩٤٤.

" يُقَالُ شَرِكْتُهُ فِي الْأَمْرِ أَشْرَكُهُ شِرْكَةً، والاسمُ الشِّرْكُ. وشَارَكْتُهُ إِذَا صِرْت شَرِيكَهُ. وَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ إِذَا جَعَلَ لَهُ شَرِيكاً. والشِّرْكُ: الكُفر ".[1]

رابعاً: الشرك في الاصطلاح:

عرف النبي– صلى الله عليه وسلم– أعظم الذنوب لما سئل عنها فقال: " أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ... الحديث"[2]، والمرد به الشرك.

والشرك: هو ضد التوحيد وهو أن تجعل لله –سبحانه– شريكاً في ألوهيته – كأن يتخذ المشرك إلهاً يعبده – أو في ربوبيته – كأن يظن أن هناك رازقاً أو خالقاً غير الله – أو في أسمائه وصفاته الخاصة به سبحانه – كأن يظن أن هناك من يعلم الغيب مع الله. [3]

---

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر – ت: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) – المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي – ج٢ – ص٤٦٦.

[2] رواه البخاري في صحيحه – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – ت: محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – ط١ – ١٤٢٢هـ – كتاب تفسير القرآن – باب قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢]– ح (٤٤٧٧) – ج٦ – ص١٨.

[3] انظر: تخريج العقيدة الطحاوية – ص٣١،

المطلب الثاني: منهج سورة سبأ في تقرير عقيدة التوحيد وإبطال ما سواها

اتخذت سورة سبأ في تقرير التوحيد ونفي ما سواه أربعة أساليب متتابعة وقد عرضته بصورة بديعة ولطيفة في إقرار التوحيد:

أولاً: تقرير التوحيد باستحقاق الخالق للحمد على عظيم خلقه للكون:

قال تعالى في مطلع السورة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۞ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سورة سبأ: ١-٣].

افتتحت السورة بحمد الله -سبحانه وتعالى- لتقرر التوحيد من أجمل أبوابه حيث الثناء على الخالق الذي له ما في السماوات وما في الأرض فيه دلالة على تفرده -سبحانه- بالإلهية وحده وأنه المتصف بالصفات العلى وذلك يقتضي إثبات الحمد له فله الملك في الدنيا والآخرة.[١]

"وإن من إثبات التوحيد أن يمدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله، مع محبته والرضا عنه، والخضوع له، فلا يكون حامدا من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له، وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل." [٢]

"يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة؛ لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك... ثم قال عز وجل: وله الحمد في الآخرة فهو المعبود أبدا، المحمود على طول المدى". [٣]

---

[١] انظر: التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن محمد التونسي - ج٢٢ - ص١٣٥.

[٢] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (مدارج السالكين) - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - ت: محمد المعتصم بالله البغدادي - دار الكتاب العربي - بيروت ١٤١٦هـ،١٩٩٦م - ط٣ - ج١- ص٤٩.

[٣] تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (المتوفى: ٧٧٤هـ) - ت: سامي بن محمد سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م - ط٢ - ج٦ - ص٤٩٤.

مجيء صفة الملك لله –جلَّ وعلا– لما في السماوات وما في الأرض مع الحمد في ذلك إثبات للتوحيد، وبذلك قد نفت الشرك بإثبت نقضيه، فليس لأحد معه –سبحانه– شريك، فهو المالك لما في السماوات والأرض وهو ملك اليوم الآخر، وبهذا الاستهلال تقرر السورة قضية التوحيد وأن الله هو المالك لكل شيء وهو الله الذي لا مالك لشيء سواه في هذا الكون الفسيح.[1]

ثانياً: تقرير التوحيد بذكر قصص الأمم السابقة:

للقرآن آساليب عدة في تقرير التوحيد منها الأسلوب القصصي حيث تعرض السورة قصة آل داود –عليه السلام– مستعرضة حال الموحدين الشاكرين بأنعم الله، وفي المقابل تعرض نقيض ذلك من قوم سبأ الذين كفروا الرسل وجحدوا النعم، فكانت حالُ أهلِ سبأ مضادةً لحال داود وسليمان –عليهما السلام– فالأولون كانوا مثالاً للموحدين الشاكرين والآخرون قوم سبأ كانوا مثالاً لمن أشرك بالمنعم وما شكره حق شكره الذي هو الانقياد لأمره، وتحمل موعظة للمشركين الذين كانوا يتنعمون بنعيم الدنيا فلما جاءهم الرسول كفروا به وكذبوه وأعرضوا عن التفكر في دلالة تلك النعم على وحدانية المُنعم.[2]

وقد ذكر –سبحانه– عظيم نعمه على داود وسليمان – عليهما السلام – فقال: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا داود مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ داود شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سورة سبأ: ١٠–١٣].

وبعد عرض السورة نعمَ الله على آل داود – عليه السلام – اختتمت الأمر بتوحيده – سبحانه– بطلب الشكر ﴿**اعْمَلُوا آلَ داود شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سورة سبأ: ٦]

---

[1] انظر :في ظلال القرآن – سيد قطب– ج٥ – ص ٢٨٩١.

[2] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٥٦.

وفي معنى (وقليل من عبادي الشكور) قال الطبري: "وقليل من عبادي المخلصو توحيدي والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم"[١].

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – في القليل: "قليل من عبادي الموحدين توحيدهم"[٢].

وإن من توحيد الله معرفة أن النعم التي تتوالى على العبد هي من عند الله سبحانه وهو وحده من يستحق على ذلك الشكر فيكون بتلك المعرفة موحداً وقد ذكر "أن الله تعالى أنزل على داود –عليه السلام–: يا رب كيف أطيق شكرك وأنت الذي تنعم علي ثم ترزقني على النعمة الشكر فالنعمة منك والشكر منك فكيف أطيق شكرك، قال: يا داود الآن عرفتني حق معرفتي"[٣]

وعلى ذلك فكان إيراد قصة داود وسليمان –عليهما السلام– في هذا الموضع؛ ليبين للمشركين أنَّ الواجب عليهم إزاء خلق الله لهم وإنعامه عليهم توحيده، وشكر داود وسليمان – عليهما السلام– خير توحيد، فالشكر له أربع قواعد كلها تحقق مفهوم التوحيد وهي: "خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه، وأن لا يستعملها فيما يكره" [٤].

وبعد ذكر خبر الموحدين الشاكرين داود وسليمان –عليهما السلام– جاء ذكر من كانوا على نقيضهم وهم قوم سبأ الذين كانت حالهم أشبه ما يكون بحال المشركين من أهل قريش، فبعد أن أغدق الله على قوم سبأ من نعمه أمرهم على لسان أنبيائه ولسان حالهم التي هم فيها ﴿**كُلُوا**

---

[١] جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ت:أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م – ط١ – ج٢٠ – ص٣٦٩.

[٢] شعب الإيمان – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) – ت: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد – مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م – ط١ – ج٦ – ص٢٣٨، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – ابن قيم الجوزية– دار ابن كثير، دمشق، بيروت – مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية – ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م – ط٣ – ص١٢٦.

[٣] الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٦ – ص٦٨١.

[٤] مدارج السالكين – ج٢ – ص٢٣٥.

مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سورة سبأ:١٥] أي أن يكونوا شاكرين عابدين مقرين بأن ذلك النعيم من عند الله، إلا أنهم استقبلوا ذلك الإنعام بالكفر والمغفرة بالإعراض، فلما كفروا وأعرضوا عما جاءت به الأنبياء سلط عليهم خلداً أذهب به تلك الجنان وذلك النعيم وأبدل المغفرة عذاباً والأمن خوفاً. [١]

ولنا في التوحيد بالشكر حديث باستفاضة في المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله.

ثالثاً: تقرير التوحيد بحوار المشركين:

إن القرآن الكريم مليء بالأساليب الحوارية للمشركين والكافرين التي تظهر فساد اعتقادهم وتُعجزُهم عن الرد؛ بل يستسلمون لما حملته تلك الآيات من أدلة دامغة على بطلان اعتقادهم وصحت ما جاءت به الأنبياء، وفي سورة سبأ وقع حوار بأساليب متنوعة وأدلة متتابعة تلجم الخصم وتفحمه، وتجعله مضطراً للاستسلام.

واتخذت السورة أسلوب التعجيز فقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سورة سبأ:٢٢]

أي هذا الذي مضى ذكره من أمر داود وسليمان –عليهما السلام– وقصة سبأ من آثار قدرتي، فقل يا محمد لهؤلاء المشركين هل عند شركائكم قدرة على شيء من ذلك. [٢]

فحملت الآية رسالات بين أحرفها تعجز فيها المشركين وتبطل فيها الشركاء مع الله، أولاً ادعوهم إن كانوا موجودين أن ينعموا عليكم كما أنعم الله على عبديه داود وسليمان –عليهما السلام–، فهي لا تملك لمن عبدها مهما صغر حجمه من السماء أو الأرض أو منهما، وليس

---

[١] انظر: البحر المحيط في التفسير – أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) – ت: صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت – ١٤٢٠ هـ – ط١ – ج٨ – ص٥٣٤.

[٢] تفسير القرطبي ج١٤ – ص٢٩٤.

لهم ملك مشاعٌ ولا مقسومٌ على سبيل الشركة، وليس لهم من دون الله من معين على خلق شيء ولا ظهير، ولا واسطة أو شفاعة؛ بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد له. [1]

فعن قتادة رضي الله عنه: " ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ يقول: ما لله من شريك في السموات ولا في الأرض ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ﴾ قال: من الذين دعوا من دونه ﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾ يقول: من عون بشيء"[2].

وإنَّ في هذا التعبير الإلهي الدقيق: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ:٢٢] نفياً للشريك مهما صغر ويقول في ذلك ابن تيمية – رحمه الله –: " فبين أن كل ما يدعى من دون الله من الملائكة والأنبياء وغيرهم لا يملكون مثقال ذرة ولا لأحد منهم شرك معه ولا له ظهير منهم فلم يبق إلا الشفاعة ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ ". [3]

فهذا التحدي جاء بعد أن عرضت السورة عظيم إنعام الله على عباده واستحقاقه للشكر من عباده وكيف أن الذي يكفر ولا ينيب ينتقم الله منه، فهنا تحد على أن تفعل هذه الآلهة شيئاً من قبيل ذلك فلا هي تنفع عابديها كما كان النفع لداود وسليمان –عليهما السلام– ولا قادرة على إهلاك مُسخطيها، ولا تنفع نفسها أصلاً حتى تنفع غيرها.

ولما كانت حجة المشركين أنهم يعبدون هذه الآلهة لتكون شفيعة لهم عند الله كما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [سورة الزمر:٢٢]، استوجب نفي الشفاعة لأي مخلوق إلا من أذن الله سبحانه له، ولا يأذن الله إلا للمؤمنين به المستحقين لرحمته، فأما الذين يشركون به ليسوا أهلا لأن يأذن الله بالشفاعة فيهم، لا من الملائكة ولا من المأذونين بالشفاعة[4] حتى الأنبياء كما قال سبحانه لنوح في ابنه: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة هود:٤٦]، فقال سبحانه:

---

[1] انظر: السابق، جامع البيان في تأويل القرآن ج٢٠ – ص٣٩٤، ابن كثير ج٦ ص٥١٣.

[2] الدر المنثور ج٦ – ص٦٩٦.

[3] مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة النبوية – ١٤١٦هـ–١٩٩٥م – ج٢٧ – ص٢٨٠.

[4] انظر: في ظلال القرآن ج٥ – ص٢٩٠٤.

﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٣].

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع إما مالك لما يريده عباده منه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده. فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبا، متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه.[١]

وفي هذه الآيات يقول ابن القيم – رحمه الله –: "فكفى بهذه الآية نوراً، وبرهاناً ونجاة، وتجريداً للتوحيد، وقطعا لأصول الشرك وَمُوَدَّاهُ لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن"[٢].

وبعد أن أظهرت السورة عجز آلهتهم انتقلت الى إبطال عبادتهم قال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ:٢٤].

فلما بين –سبحانه– أن آلهتهم لا يملكون شيئاً ولا حتى ذرة أو أقل منها وأنها لا تدفع الضر ولا تجلب النفع ولا تملك لهم الشفاعة، جاء ليذكرهم بأن قل لهم يا محمد أنى لكم هذه الأرزاق في السماوات من نجوم وشموس وأقمار وغيث والأرزاق التي من الأرض كالنباتات النابتة منها أو الطيور المحلقة فيها وما تستخرجونه منها من حديد ونحاس وذهب وفضة وما في البحر من لؤلؤ وكائنات، من يرزقكم إياها ؟!

---

[١] انظر: مدارج السالكين – ج١ – ص٣٥١.

[٢] مدارج السالكين – ج١ – ص٣٥١.

وهذا السؤال فيه إلجام لهم فإنهم بذلك إما أن يقولوا: "مِن آلهتنا"، وذلك الجواب لا يؤمنون به ولا يقرونه فهم يعلمون حق العلم أن آلهتهم لا تنفع ولا تضر وذلك كما جاء في سورة الأنبياء لما حطم إبراهيم –عليه السلام– الأصنام فسألوه ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٦٢،٦٣] فهنا رجعوا إلى أنفسهم وغلبهم إبراهيم –عليه السلام– بقوله فألجمهم فما استطاعوا جواباً كما قال –سبحانه وتعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٦٤،٦٥]، وحالهم كحال كفار قريش فهم يعلمون عجز الآلهة التي عبدوها؛ لكنهم يرجون بها الشفاعة والتقرب!

وما بقي أمامهم إلا أن يقولوا: "مِن الله"، وذلك إقرارهم بسكوتهم، فلن يقدروا على قول ذلك كما يعترفون به في حال الضر كما قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [سورة الروم:٣٣] لكن عند الراحة لا يذكرون ذلك فقال –سبحانه– "قل الله" إذ لا جواب سواه، وفيه إشارة بأنهم لن يجيبوا خوفاً من الإلزام. [١]

وتتبع تلك المحاورة ألطف العبارات وأحكمها بقوله –تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة سبأ:٢٤]، والمعنى أنه أحدنا على هدى والآخر على ضلال دون أن تحدد الآية من هو الذي على هدى ومن الذي على ضلال رغم التيقن بأن الموحدين– النبي وصحبه الذين آمنوا معه– على هدى والآخرون– المشركون– على ضلال فلا يجتمع الطرفان على أمر هدى؛ بل أحدهم على الهدى والآخرون على الضلال وهذا من التورية[٢].

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (تفسير الرازي) – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٢٠ هـ – ط٣ – ج٢٥ ص٢٠٥، أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج٤ ص٢٤٧.

[٢] انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٦ – ص٧٠١. تفسير ابن كثير ج٦ ص٥١٧. جامع البيان في تأويل القرآن ج٣ ص١٦٢.

ومن لطائف هذا الحوار أن اشتمل على أسلوب التشكيك والتعريض مع التلطف بالخصم فلا يضطر إلى العناد ولا يشعر بذنب الاتهام، فيرجع إلى العقل والرشاد ويعيد التفكر في ما مضى من الكلام في هدوء لا تغشى عليه العزة بالإثم، فيحصل به المراد من إدراكه للضلال ويراجع النفس بما صدر عنها من ظلم وبطلان[1].

وفي هذه الآية وفي ما اشتملت عليه من أساليب بيانية واستعارات ومحسنات بديعية قال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " فلما ذكر ما دل على وجوب توحيده، وبيان أن أهل التوحيد هم على الهدى، وأن أهل الشرك على الضلال قال تعالى: ﴿**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾ [سورة سبأ:٢٤]. يقول: إن أحد الفريقين أهل التوحيد الذين لا يعبدون إلا الله، وأهل الشرك لعلى هدى أو في ضلال مبين. وهذا من الإنصاف في الخطاب الذي كل من سمعه من ولي وعدو قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك، كما يقول العادل الذي ظهر عدله للظالم الذي ظهر ظلمه: الظالم إما أنا وإما أنت، لا للشك في الأمر الظاهر، ولكن لبيان أن أحدنا ظالم ظاهر الظلم، وهو أنت لا أنا"[2].

وتستمر الآية في استخدام ذات الأسلوب في حوار هادئ لا يَستفزُّ المُحاوَر؛ بل يؤلف قلبه يقول –تعالى: ﴿**قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [سورة سبأ:٢٥].

ووجه حُسن التعريض وملاحته إسماع المخاطبين الحق على وجه لا يورثهم مزيد غضب؛ وذلك لأنك تترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل، وذلك أنفذ في أعماق القلوب، حيث لا يريد المتكلم لهم إلا ما يريده لنفسه[3].

وبعد هذه المحاورة الهادئة والاسلوب الحسن تختتم بما لا يقل عن آداب الآيات السابقة في الحوار، فمن الركازة في الاتهام والتبرؤ من ضلال الضال جاء الختام بالتذكير بالجمع أمام

---

[1] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ج٢٠ ص٤٠٢، التحرير والتنوير ج٢٢ ص١٩٣، في ظلال القرآن ج٥ ص٢٩٠٥.

[2] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – شيخ الإسلام ابن تيمية – ت: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد – دار العاصمة، السعودية – ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م – ط٢ – ج٣ ص١٥٥.

[3] علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» – أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) – ص١٣٧.

الخالق – سبحانه – فقال: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة سبأ:٢٦].

فتأتي السورة تذكرهم بأن الله جامعنا في يوم القيامة ثم يقضي بيننا فنعلم من على ضلال ممن على هدى حيث إنَّ الجزاء للذين هم على هدى في سعادة ونعيم خالدين في الجنة أبداً، وأما الذين في ضلال فهم في العذاب محضرون، وأيضاً فهي بمنزلة البيان للتي قبلها؛ لأن نفي سؤال كل فريق عن عمل غيره يقتضي أن هنالك سؤالاً عن عمل نفسه فبين أن الذي يسأل الناس عن أعمالهم هو الله تعالى، وأنه الذي يفصل بين الفريقين بالحق حين يجمعهم يوم القيامة الذي هم منكروه، فما ظنك بحالهم يوم يتحقق ما أنكروه [١].

وعقب هذا النَّفَسِ في الحوار، وبعد عرض الأدلة على التوحيد، وأنَّ الله –سبحانه وتعالى– هو المستحق للألوهية والعبودية واتصافه بصفات الكمال ونعوت الجلال، جاء الأمر أن يرتفع أسلوب الحوار وذلك عند عجز المحاور عن الحوار واستكباره في الإقرار بمقتضاه وإلزامهم الحجة وذلك فيه زيادة في تبكيتهم، أن قل لهم أروني شركاءَكم الذين جعلتموهم لله شركاء وأنداداً، وأروني ما عندهم من صفات ليستحقوا الإشراك، فماذا خلقوا من الأرض مع الله ؟! أو ماذا لهم من السماء ؟! وما علمهم بين الأرض والسماء ؟! [٢].

وإن طلب الرؤية هنا لا يشترط فيه أن يكون بالعين حقيقة؛ بل ذلك الطلب تبكيت وتوبيخ لهم، كما في قول إبراهيم –عليه السلام– أن اسألوهم إن كانوا ينطقون فهو ما أراد سؤالهم حقيقة إنما أراد إظهار عجزهم وتذكيرهم بالحقيقة التي يعرفونها بأنهم لا ينطقون فكانت الفائدة قد وقعت فقال عن حالهم –سبحانه: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٦٤،٦٥]، ولما ردهم ليسألوا الآلهة علموا أن المغزى إظهار عجزهم فتراجعوا برهة ثم عادوا لضلالهم ومكابرتهم فقالوا: "حرقوه وانصروا آلهتكم".

---

[١] انظر: التحرير والتنوير ج٢٢ ص١٩٥.

[٢] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ج٢٠ – ص٤٠٥، ابن كثير ج٦ ص٤٥٧، أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج٤ – ص٢٤٧.

وفي هذه السورة يتكرر هذا المشهد بما هو أشد فقال -سبحانه: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة سبأ:٢٧] فلما طلب منهم الرؤية أن أروني هؤلاء الشركاء الذين يشاركون الله في الخلق أو الملك أو هؤلاء الشفعاء، والمشركون يعلمون أنهم لا ينطقون ولا يخلقون ولا ينفعون ولا يضرون، وحتى إذا وجَّهوا النظر إلى صورهم رأوا خشباً وحجارة وجمادات خاوية تعجز عن أن ترزق نفسها أو تدفع عنها ضرراً أو ما يذلها[١].

ومن ذلك ما قاله أحد المشركين وقت أن رأى ثعلباً يبول فوق أحد أصنامهم وتفكر في عجز الصنم عن دفع ذلك الأذى عن نفسه أنشد قائلاً:

أَرَبٌّ يبَـــولُ الثُّعْلُبـانُ بِرَأْســـهِ لقد ذل من بالت عليه الثعالبُ[٢]

وتستمر السورة في إبطال دعوى المشركين وهذه المرة بأسلوب هو أشد مما سبقه ويزيد من التوبيخ والاستنكار، فيقول -سبحانه:﴿كَـــلَّا﴾ فليس له -سبحانه- نظير ولا شريك يشركه بشيء في مُلك أو خلق أو عون أو أن يكون له حتى وسيط؛ بل هو الله العزيز الحكيم، فله الصفات الكاملة لا ينقص من كمالها شيء، صاحب القدرة الكاملة، والحكمة الشاملة، والملك التام[٣].

ثم تستمر الآيات في حوار المشركين، وترد على شبههم المتنوعة فبعد إثبات الآيات التي ذكرنا في التوحيد تناولت بذات الاسلوب السابق بطلان استدلالهم بكثرة الأموال والولد على أمنهم من العقاب والعذاب، وكفرهم بالبعث والنشور، وبيان ما يكون حالهم يوم القيامة نذكر ذلك في مباحثها القادمة.

---

[١] انظر: البحر المحيط في التفسير ج٨ – ص٥٤٨، التحرير والتنوير ج٢٢ – ص١٩٦.

[٢] الأمثال – أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) – ت: الدكتور عبدالمجيد قطامش – دار المأمون للتراث – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م – ط١ – ص١٢٢.

[٣] انظر: مفاتيح الغيب ج ٢٥– ص ٢٠٦، ابن كثير ج ٦ – ص ٤٥٨.

رابعاً: تقرير التوحيد بعرض صور من مشاهد يوم القيامة:

تستعرض السورة مشهدين من مشاهد يوم القيامة فهي تعرض حال المشركين بعضهم مع بعض وهم يتلاومون ويتبرؤون، ومشهد آخر يَذْكر حالهم مع من يزعمون أنهم يعبدونهم أو يتقربون بهم إلى الله ويرجون شفاعته وهم الملائكة كما زعموا.

فالمشهد الأول فيه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة سبأ:٣١-٣٣]

فيذكر -سبحانه- حال من كفر بالقرآن وما جاء به من التوحيد والأنبياء والكتب والأخبار والمسائل الأخرى فيه، وهم كفار قريش وإن كان يدخل ضمنهم أهل الكتاب؛ لكن مما يظهر أنَّ السورة حملت فيها ثلاث مسائل وهي: التوحيد، والرسالة، والبعث وفي إثبات التوحيد كانت قد حاورت المشركين بالله أصناماً وشياطين، وحاورت من أنكر ما أقر به أهل الكتاب مثلما ذكر إن أهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا فسلوه، فلما سألوه فوافق ما قال أهل الكتاب قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي أنزل قبله من التوراة والإنجيل، فكفروا بالكتاب وما جاء به من الكتب والرسالات السابقة، وإن أهل الكتاب لمَّا حادوا عما علموا من كتبهم أنَّ محمداً بن عبد الله تحققت فيه علامات النبوة وما اتبعوه كان ذلك كفراً منهم للرسالة، فعلى ذلك يدخل ضمن الذين كفروا المشركون وأهل الكتاب لاشتراكهم في الكفر. [1]

فتذكر السورة لو ترى يا محمد حال هؤلاء الكفار سواءً مشركين أو أهل الكتاب كيف حالهم اليوم، السادة والضعفاء، التَبع والمتبوعين، يوم نحشرهم كل منهم يدب الاتهام عن نفسه،

---

[1] انظر: البحر المحيط في التفسير ج٨ – ص ٥٥١، مفاتيح الغيب ج ٢٥– ص ٢٠٦، تفسير القرطبي ج١٤ – ص٣٠٢.

ويبرأ بمن تزعموهم في طريق الضلال، ويلوم بعضهم بعضاً في مشهد لا يغني عنهم من الله شيئاً ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾ [سورة القلم:٣٠].

فيقول التَبع للمَتْبُوعين: "لولا أنتم لكنا على طريق الهداية فأنتم الذين أضللتمونا وجعلتمونا نكفر معكم لما دعينا للإسلام"، فيأتي الرد من المَتبوعين يذودون عن أنفسهم هذا الاتهام بقولهم: " بل أنتم أنفسكم كنتم مجرمين ﴿قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الصافات:٢٩] وما صددناكم وما كنتم مؤمنين فقد كنتم كافرين ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ [سورة الصافات:٣٠].

ولما كانوا – المستضعفون – في العذاب لا محالة سائرين، يعلمون أن كثرة الكلام لن تأتي لهم بعفوٍ عما كانوا فيه، قالوا: "بل كنتم تكيدون لنا بالليل والنهار وتصدوننا عن أن نؤمن بالله وتدفعوننا للكفر والشرك بالله" ونهاية أمرهم علموا أنَّ الأمر قضي، والعمل انتهى، والعقاب نازلٌ بأهله، فأسروا الندامة على ما فاتهم وسوء حالهم.

وهذه رسالة إلى المشركين بالله، أن هذه حالكم تصيرون إليها إن بقيتم على كفركم وعنادكم، واتباعكم الكبراء وغروركم بكثرة الأتباع، فلن يغني بعضكم عن بعض، وهذه بين المستكبرين والمستضعفين وردت في غير موضع من كتاب الله، ومنها قوله – جلَّ وعلا –: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۞ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۞ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۞ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۞ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ۞ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [سورة سبأ:٥٥-٦٤].

وفي مشهد آخر من مظاهر يوم القيامة يوم يجمع الله المشركين بمن ادَّعوا أنهم شركاء مع الله، كما جمع المستضعفين مع من ادَّعو أنَّهم أضلُّوهم عن الهدى.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۞ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة سبأ:٤٠-٤٢]

فهذا موقف آخر يجعل الله فيه المشركين مع من ادَّعو أنهم شركاء لله، تقريعاً للكفار وتوبيخاً وتعنيفاً لهم، لا اتهاماً للملائكة فهم عباد الله لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.[١]

فمن المشركين من اتخذوا الصالحين والملائكة والأنبياء أرباباً من دون الله، جهلاً وكفراً، كما اتخذ قوم نوح آلهة يعبدونهم وكانوا عباداً صالحين، فلما ماتوا وأرادوا تخليدهم عملوا لهم تماثيل، وصاروا يزورونهم حتى تعاقبت الأجيال فصاروا يشركونهم مع الله فيسألونهم ويتضرعون لهم ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح:٢٣]، كذلك النصارى اتخذوا عيسى ابن مريم – عليه السلام – النبي إلهاً من دون الله. [٢]

وفي هذا المشهد يسأل الله الملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، والسؤال من باب التعريض بالمشركين كما ذُكر، فتبرأت الملائكة من ذلك، ونسبت ذلك إلى ما كانوا عليه فقالوا: بل يعبدون الجن أي الشياطين فهم يزينون لهم أعمالهم على أنها خالصة لله كما قال المشركون إنهم شفعاؤنا، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٨]، فحقيقة عبادتهم كانت للشياطين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: " وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن؛ بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات، وليس عندهم من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية، وبين التلبيسات الشيطانية، فيمكرون به

---

[١] انظر: البحر المحيط في التفسير ج٨ – ص ٥٥٦.

[٢] انظر: الجواهر المضية – محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) – دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية – ط١ بمصر – ١٣٤٩هـ، النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ – ص١٨، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد – سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ) – ت: زهير الشاويش – المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق – ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م – ط١ – ص٢٠٦.

بحسب اعتقاده، فإن كان مشركاً يعبد الكواكب والأوثان، أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة..... فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان"[1].

فما شيء أقوى مِن أنْ ينفي من يُشرَك مع الله أنه لله شريك ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ فهذا إقرار بالتوحيد؛ بل يزيد على ذلك النفي توحيداً وتعظيماً ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴾ وتبيان حقيقة شركهم ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ واستئنافاً للتعظيم والتوحيد واستنكار ذلك الفعل قالت الملائكة ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ فهم – الملائكة – لا يعلمون الغيب، وعلم الغيب من صفات الإله – عزَّ وجلَّ– فقالوا أكثرهم فلربما منهم من هم ليسوا كذلك.

ومثل ذلك قول عيسى بن مريم –عليه السلام– في سؤال مشابه لذات الغرض إبطال الشريك وتقرير التوحيد: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة:١١٦]، فنفى عليه السلام كما نفت الملائكة، وزاد بذلك النفي توحيداً لله –سبحانه، وزاد المشركين بذلك تقريعاً على رؤوس الخلائق[2].

وبهذه الأساليب والأشكال المتعددة يظهر لنا منهج السورة في تقرير عبادة الله وحده ونفي عبادة ما سواه، بما يكفي لإعادة كل صاحب بصيرة وتذكرة لفطرته التي فطره الله عليها.

---

[1] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – شيخ الإسلام ابن تيمية – ت: عبد القادر الأرناؤوط – مكتبة دار البيان، دمشق – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م – ص١٩٧.

[2] انظر: ابن كثير ج٦ – ص ٤٦٣، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٦ – ص٧٠٩، الجواهر المضية ص١٨.

المبحث الثاني :

دلالة سورة سبأ على الإيمان بأسماء الله وصفاته .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : موقف السلف ومنهجهم في إثبات الأسماء والصفات .

المطلب الثالث : الأسماء التي وردت في سورة سبأ .

المطلب الرابع : صفات الله العلى التي وردت في سورة سبأ .

المبحث الثاني:

دلالة سورة سبأ على الإيمان بأسماء الله وصفاته.

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات لغة واصطلاحاً:

أولاً: الاسم لغة:

"مَعْنَى قَوْلِنَا اسمٌ هُوَ مُشْتَق مِنَ السُّموِّ وَهُوَ الرِّفْعَة، قَالَ: والأَصل فِيهِ سِمْوٌ مثلُ قِنْوٍ وأَقْناءٍ."[١]

وعرفه الجوهري –رحمه الله: "والاسم مشتق من سَموْتُ؛ لأَنه تنويه ورِفْعَةٌ، وتقديره إِفْعٌ، والذاهب منه الواو لأن جمعه أَسْمَاءٌ وتصغيره سُمَيٌّ". [٢]

وعرفه الجرجاني: "ما دلَّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة". [٣]

ثانياً: الصفة لغة:

"أصل الصفة من وصف: هُوَ تَحْلِيَةُ الشَّيْءِ. وَوَصَفْتُهُ أَصِفُهُ وَصْفًا. وَالصِّفَةُ: الْأَمَارَةُ اللَّازِمَةُ لِلشَّيْءِ". [٤]

وقال الليث –رحمه الله: "الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته. وتواصفوا الشيء من الوصف". [٥]

---

[١] لسان العرب – ج١٤ – ص٤٠١.

[٢] السابق.

[٣] التعريفات – ص٢٤.

[٤] معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) – ت: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. – ج٦ – ص١١٥.

[٥] لسان العرب – ج٩ – ص٣٥٦.

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات اصطلاحاً:

عُرِّف توحيد الأسماء والصفات: " بأن يوصف الله –تعالى– بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه– صلى الله عليه وسلم– نفيا وإثباتا، فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه."[١]

وعُرِّف بأنه: " هو إفراد الله –سبحانه– بما سمي به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، ونفى ما نفاه عن نفسه، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة، من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها، ولا تكييفها بتحديد كنهها، وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين، ونفي أي صفة من صفات النقص التي نفاها الله –تعالى– عن نفسه."[٢]

---

[١] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية – شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) – مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق – ط٢ – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م – ج١ ص١٢٩.

[٢] شرح أصول العقيدة – ص٤٩.

المطلب الثاني: موقف السلف ومنهجهم في إثبات الأسماء والصفات:

موقف السلف في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى إثباتها كما جاءت من غير تحريف في المعنى ولا تصوير للكيف ولا تعطيل للصفة ولا تفويض في الكل ولا تمثيل.

ولُخص هذا الموقف الذي عليه أهل السنة في لمعة الاعتقاد: "وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى –عليه السلام– من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل. وما أُشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً، وترك التعرض لمعناه ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله اتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله –سبحانه وتعالى: ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾ [سورة آل عمران: ٧]"[(١)].

ولا يُتجاوز تلك الأسماء والصفات اجتهاداً ولا استحداثاً، ولا تُأوَّل الصفة بدعوى التنزيه عن المثل ورفع قدر الخالق عن المخلوق.

وقال الإمام ابن خزيمة: " إن الأخبار في صفات الله –عزَّ وجلَّ– جاءت متواترة عن نبي الله– صلى الله عليه وسلم– موافقة لكتاب الله –عزَّ وجلَّ–، نقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة –رضي الله عنهم– والتابعين – رحمهم الله – إلى عصرنا هذا على سبيل إثبات الصفات لله –عزَّ وجلَّ–... "[(٢)].

والصفات في القرآن قد تفرد بها الله –سبحانه وتعالى– على كثرتها وتعددها، مما يدلل ويثبت كمال الخالق عزَّ وجلَّ وهذا منهج السورة في تقرير كمال الله جلَّ في علاه.

وعن هذا قال ابن القيم –رحمه الله– في ذلك: " ومن شك في أن صفة السمع والبصر والكلام والحياة والإرادة والقدرة والغضب والرضا والفرح والرحمة والرأفة كمال فهو ممن سُلب

[(١)] لمعة الاعتقاد – أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الشهير بابن قدامة المقدسي – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية – ط٢ – ١٤٢٠هـ – ص ٦.

[(٢)] ذم التأويل – ابن قدامة – ت: بدر بن عبد الله البدر – الدار السلفية – الكويت – ط١ – ١٤٠٦هـ – ص١٨.

خاصة الإنسانية وانسلخ من العقل؛ بل من شك أن إثبات الوجه واليدين وما أثبته لنفسه معهما كمال فهو مأفون مصاب في عقله ومن شك أن كونه يفعل باختياره ما يشاء ويتكلم إذا شاء وينزل إلى حيث شاء ويجيء إلى حيث شاء كمال فهو جاهل بالكمال والجامد عنده أكمل من الحي الذي تقوم به الأفعال الاختيارية"[١]

وإنَّ توافق أسماء الصفات للبشر بأسماء صفات الخالق سبحانه لا يعني أنَّ الصفات تشابهت في الحقيقة.

والصفات في القرآن صفات ثبوتية وسلبية، فالصفات الثبوتية هي ما أثبته الله –سبحانه وتعالى– لنفسه من الصفات، وكلها صفات كمال، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك. [٢]

والصفات السلبية هي التي نفاها الله –سبحانه وتعالى– عن نفسه من صفات النقص، كالنوم والموت والعجز والنسيات والتعب، ويجب نفيها عن الله سبحانه مع إثبات ضدها على أكمل وجه وفي ذلك النفي إثبات الكمال لله –عزَّ وجل.[٣]

فهذا ملخص معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

---

[١] الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة –ابن قيم الجوزية – ت: علي بن محمد الدخيل الله – دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية –ط١ – ١٤٠٨هـ – ج٣ – ص٩١٦.

[٢] انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى – محمد بن صالح العثيمين – الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – ط٣ – ١٤٢١هـ/٢٠٠١م – ص٢١.

[٣] انظر: السابق – ص٢٣.

المطلب الثالث: الأسماء التي وردت في سورة سبأ:

قال –سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الحشر: ٢٣،٢٤].

إن أسماء الله الحسنى غير محصورة بعدد معين فمنها ما عرفناه بما أثبته الله نصاً في كتابه أو أخبر به نبيه –صلى الله عليه وسلم– في سنته ومنها ما جهلناه فقد استأثر الله بعلمها "وإنَّ الواجب على المسلم الإيمان والإقرار بها لفظاً كما ثبتت في القرآن أو صحيح السنة كما قال ابن عثيمين– رحمه الله: "أسماء الله لا تثبت بالعقل وإنما تثبت بالشرع فهي توقيفية يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلا يُزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه –تعالى– من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على الشرع ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك." [١]

أسماؤُهُ أوْصافُ مَدْحٍ كُلُّها مُشْتَقَّةٌ قَدْ حُمِّلَتْ لِمَعان [٢]

وإنَّ أسماء الله –سبحانه وتعالى– لها دلالة على نفسه المقدسة وعلى صفة من صفاته العلى يقول شيخ الإسلام ابن تيمة – رحمه الله –: " فأسماؤه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة، ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته، ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فالعزيز يدل على نفسه مع عزته، والخالق يدل على نفسه مع خلقه، والرحيم يدل على نفسه مع رحمته، ونفسه تستلزم جميع صفاته، فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة، وعلى أحدهما بطريق التضمن، وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم"[٣]

وقد ورد في سورة سبأ عدداً من أسماء الله الحسنى وهي أربعة عشر اسماً نعرضها مع مكان ورودها في الآيات:

---

[١] لمعة الإعتقاد شرح ابن عثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ت:أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – مكتبة طبرية – ط٣ – ١٤١٥م–١٩٩٥م – ص ٢٣.

[٢] متن القصيدة النونية – ابن قيم الجوزية– مكتبة ابن تيمية، القاهرة – ط٢ – ١٤١٧هـ – ص ٢١٦.

[٣] الإيمان لابن تيمية – دار الكتب العلمية، بيروت – ط١ – ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م – ص١٦٣.

- **الله، الحكيم، الخبير:**

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة سبأ: ١].

- **الرحيم، الغفور:**

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سورة سبأ: ٢].

- **العزيز، الحميد:**

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ: ٦].

- **الرب:**

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سورة سبأ: ١٥].

- **العلي، الكبير:**

﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ: ٢٣]

- **الفتاح:**

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة سبأ: ٢٦]

- **العزيز، الحكيم:**

﴿قُلْ أَرُونِىَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة سبأ: ٢٧]

- **الرب:**

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِى إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سورة سبأ: ٥٠]

وأما عن معاني الأسماء فسأشير إليها عندما أعرض معاني الصفات فلكل اسم سأعرض الصفة التي هي منه ومعناها.

المطلب الرابع: صفات الله العلى التي وردت في سورة سبأ:

إنَّ صفات الله العلى كما أسماءه الحسنى من حيث إنها غير محصورة بعدد معين فما عرفناه من الكتاب وصحيح السنة ثابت صفة لله ولا نجتهد في إثبات صفات أخرى، إلا ما يشتق من الأسماء كما أسلفنا.

والصفات تنقسم إلى قسمين ذاتية وفعلية، ومن الصفات ما هو مشترك بينها كالكلام[١]:

الصفات الذاتية: هي الصفات التي اتصف الله بها ولا يزال متصفاً بها –سبحانه– مثل الحكمة والقدرة والعزة واليد والوجه فكلها من صفات الذات[٢].

الصفات الفعلية: وهي الصفات التي يفعلها –سبحانه– متى شاء فهي متعلقة بمشيئته – سبحانه– كالخلق والرزق والضحك والاستواء [٣].

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سورة سبأ:٣٦].

ومن الصفات المشتركة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٣]. فكلام الله من صفاته الذاتية والفعلية فهو متصف بالكلام ويتكلم متى شاء. [٤]

وقال ابن القيم –رحمه الله:

وهُوَ المُقَدِّمُ والمُؤخِّرُ ذَانِكَ الـ... صِّفَتَانِ للأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ

---

[١] انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى – ص٢٥.

[٢] انظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل – محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) – ت:عماد الدين أحمد حيدر – مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان – ط١ –، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م – ص٢٩٨، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى – ص٢٥.

[٣] انظر: السابق.

[٤] انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد – ج١ – ص٨٣.

وهُمَا صِفَاتُ الذَّاتِ أيضاً إذْ هُمَا... بِالذَّاتِ لا بِالغَيْرِ قَائِمَتَانِ[1]

وتقرر سورة سبأ عدداً من صفاته –سبحانه وتعالى– وهي:

١– الحكمة:

وهي صفة ذاتية من صفات الله سبحانه وهي من اسم (الحكيم)، فهو حكيم في خلقه وفي تقديره وفي رزقه فهو المتقن لكل شيء.

قد وردت الصفة في السورة في أكثر من موضع:

قال تعالى ﴿... وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:١].

وقال جلَّ وعلا: ﴿... بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة سبأ:٢٧].

والآيات في القرآن الدالة على هذه الصفة كثيرة:

قال تعالى: ﴿... إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة:٣٢].

وقال سبحانه ﴿... وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام:١٨]

والصفة ثابتة في السنة النبوية:

عن مصعب بن سعد عن أبيه –رضي الله عنهما– قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ– صلى الله عليه وسلم– فقال: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: " قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"[2]

ويقول ابن القيم –رحمه الله– في اسم الله تعالى (الحكيم): "... من لوازمه ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله، ووضعه الأشياء في موضعها، وإيقاعها

---

[1] متن القصيدة النونية – ابن قيم الجوزية– مكتبة ابن تيمية، القاهرة – ط٢ – ١٤١٧هـ – ص ٢١٦.

[2] رواه مسلم في صحيحه – كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء – ح (٢٦٩٦) ج ٤ – ص ٢٠٧٢.

علـى أحسـن الوجـوه، فإنكـار ذلـك إنكـار لهـذا الاسـم ولوازمـه، وكـذلك سـائر أسـمائه الحسنى". [١]

٢- الخبرة:

وهي من صفات الله الذاتية وهي من اسمه سبحانه (الخبير)، فلا يحدث في ملكه شيء ولا حركة ولا سكنة، كبيرها وصغيرها إلا وعنده سبحانها خبرها، ويعلم حدوث الأشياء قبل وقوعها. [٢]

وقد وردت هذه الصفة في الآية الأولى من السورة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:١].

وتذكر السورة ما هو من خبرته -سبحانه وتعالى- للدلالة على شمول خبرته وإحاطته بها أنه يعلم ما يدخل الأرض من بذور ومياه أمطار وحشرات، وما فيها من معادن وثروات وأموات، وما يخرج منها من نبات وزروع وأشجار وعيون، وخبير بما ينزل من السماء من أمطار وثلوج وصواعق وملائكة وشهب، وخبير بما يصعد إلى السماء من طير وملائكة وأعمال وصواف، وحتى خبير بأدق الأشياء مما ندرك ولا ندرك، فهو الخبير سبحانه.[٣]

ووردت الصفة في مواضع عديدة في كتاب الله سبحانه:

قال -عزَّ وجل: ﴿... وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة التوبة:١٦].

وقال تعالى: ﴿... نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة التحريم:٣].

---

[١] مدراج السالكين ج١ ص٥٥.

[٢] انظر: الأسماء والصفات للبيهقي- ت: عبد الله بن محمد الحاشدي - مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية - ط١ - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م - ج١، ص٢٩٤، ابن كثير ج٦، ص٤٣٦.

[٣] انظر: شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية - محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: ١٣٩٥هـ) - ت: علوي بن عبد القادر السقاف - دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر - ط٣ - ١٤١٥ هـ - ص٩١.

ودلالة الصفة من السنة ما جاء في حديث محمد بن قيس –رضي الله عنه– الذي رواه عن أمنا عائشة – رضي الله عنها: "... لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"[1].

٣- المغفرة:

وهي من صفات الأفعال من اسم الله الغفور، يعفو ويغفر ذنوب عباده لا يضره ذلك شيء، وليس لأحد غنى عن مغفرته مهما بلغ في العبادة، ولا يضره ولا يعجزه أن يغفر لأهل الأرض كلهم.

ودلت السورة على مغفرته سبحانه:

قال تعالى: ﴿...وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سورة سبأ:٢].

قال تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة سبأ:٤].

وثبتت صفة المغفرة في مواضع عديدة في كتاب الله – جلَّ وعلا – علاوة على ما ذكرنا من سورة سبأ:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:١٢٩].

وقال تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً...﴾ [سورة الصف:١٢].

ومما دلَّ على مغفرة الغفار في السنة: ما قاله عثمان بن عفان –رضي الله عنه– بعد أن توضأ رأيت النبي– صلى الله عليه وسلم– يتوضأ نحو وضوئي هذا، وقال: "مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" [2].

---

[1] رواه مسلم في صحيحه – كتاب الجنائز – باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها – ح (٩٧٤) – ج٢ ج٢ – ص٦٦٩.

[2] رواه البخاري في صحيحه – كتاب الوضوء – باب المضمضة في الوضوء– ح (١٦٤) ج١ – ص٤٤.

٤- الملك:

وهي من الصفات الذاتية وهي من اسم (المَالِك)، مالك السموات والأرض وما بينهما وله ملك يوم الدين.

قال أبو بكر الباقلاني: "والمالك القاهر الذي الأشياء له وفي قبضته لا آمر عليه ولا مبيح ولا حاظر". [١]

والآيات في السورة تدل على هذه الصفة فقد قال -سبحانه:

﴿... لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ..﴾ [سورة سبأ:١].

ودلالات هذه الصفة في القرآن كثيرة ومنها:

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ...﴾ [سورة آل عمران:٢٦].

وقال الله -جلَّ في علاه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [سورة سبأ:٤].

ودلالة السنة على هذه الصفة:

ما جاء في حديث المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه- في ما يقال من ذكر بعد الصلاة المفروضة: " لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... "[٢]

ومُلك الباري -جلَّ في علاه- لا يُتَوهَّم ملك يُدانِيه، فضلاً عن أن يفُوقَه؛ لأنه إنما يستحقه بإبداعه وخلقه وحسن تصويره، وإيجاده إياه بعد أن لم يكن، ولا يخشى أن ينزع منه أو يدفع عنه، فهو الملك حقا، ومُلك من سواه مجاز. [٣]

---

[١] تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل- ص٣٨٤.

[٢] رواه البخاري في صحيحه – كتاب الآذان – باب الذكر بعد الصلاة – ح (٨٨٤) ج١ – ص١٦٨.

[٣] الأسماء والصفات للبيهقي – ج١ – ص٨٠ بتصرف.

٥- الرَّحمة:

وهي من الصفات الفعلية وهي من اسمي الرحمن و الرحيم، فهو رحيم بعباده المؤمنين، لا يعجل لهم العذاب [١].

ودلت السورة على صفة الرحمة بذكر اسم الله الرحيم، وإثبات السورة إرسال الأنبياء الرسل وإنزال الصحف والكتب دليل على رحمة الله بعباده.

قال الله -تعالى: ﴿**... وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ**﴾ [سورة سبأ:٢].

وقال الله -تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة سبأ:٢٨]، فمن مظاهر رحمة الله سبحانه إرساله الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧].

وقال الله - تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾ [سورة سبأ:٣٤].

وقد دل على صفة الرحمة آيات كثيرة:

قال الله - تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا**﴾ [سورة غافر:٧].

وقال الله - تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [سورة الأنعام:٥٤].

ودلالة صفة الرحمة من الأحاديث:

ما جاء في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي"[٢]

---

[١] انظر: ابن كثير - ج٦ - ص٤٣٦.

[٢] رواه البخاري في صحيحه - كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ - ح (٣١٩٤) - ج٤ - ص١٠٦.

٦- **العلم:**

هي صفة من الصفات الذاتية، وهي من اسم الله تعالى (العليم)، فهو سبحانه يعلم كل شيء في ملكه، ويعلم ما هو كائن إن كان ويعلم ما هو كائن إن كان ما لم يكون، ويعلم ما تخفيه الصدور من النوايا والوسوسات وذلك مما تفرد بعلمه سبحانه.

ودلالة السورة في إثبات هذه الصفة:

قال الله – تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا**﴾ [سورة سبأ:٢].

وقال الله – تعالى: ﴿**قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [سورة سبأ:٣].

وقال الله – تعالى: ﴿**وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**﴾ [سورة سبأ:٢٦].

وقال الله – تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ [سورة سبأ:٤٨].

ومما دل على إثبات هذه الصفة في مواضع أخرى من القرآن:

قال الله – تعالى: ﴿**ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [سورة الأنعام:٩٦].

وقال الله – سبحانه: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾ [سورة الجن:٢٦].

ومن دلالة السنة على صفة العلم:

ما جاء في حديث عبد الرحمن بن عوف لما سأل أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بأي شيء كان يفتتح النبي صلاته إذا قام من الليل فقالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: " اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "[1]

وكذلك حديث ابن عمر –رضي الله عنهما– عَنِ النَّبِيِّ– صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: " مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ... الحديث "[2].

وإنَّ علم الغيب صفة تفرد الله –سبحانه وتعالى– بها فلا يعلم مخلوق من الجن ولا من الملائكة ولا من البشر قطعاً علم الغيب.

كان الناس قديماً يظنون أن الجن تعلم الغيب فالإنسان ما أوتي من العلم إلا قليلاً، فيخفى عليهم كثيرٌ من الأعمال الحاضرة، والجن علمت الأعمال الظاهرة فقط ولم تعلم شيئاً من الغيب فكان بذلك يظن الإنسان أن الجن تعلم الغيب، والجن كانت تدعي علم الغيب وكان يصدق بعض الناس، فتأتي السورة لتدحض هذا الادعاء بذكر قصة موت سليمان –عليه السلام– فلما توفى الله سليمان كان متكئاً على عصاه على هيئته عندما يقوم لله سبحانه، فظنت الجن أنه قائمٌ لله، فما علمت الجن إلا لما أكلت الأرضة من عصاه فخر فعلمت بعدها الجن موته، فعلم الناس أنهم لو كانوا – الجن – يعلمون الغيب ما لبثوا في هذه الأعمال الشاقة بظنهم أن سليمان –عليه السلام– حي، وقيل أن سليمان –عليه السلام– كان قد سأل الله أن يخفي موته على الجن ليعلم الناس أنَّ الجن لا تعلم الغيب [3].

والملائكة كذلك لا تعلم الغيب، ففي سؤال الله لهم عن عبادة المشركين لهم قالوا: ﴿ **بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ** ﴾ وذلك أن الملائكة لما سُئلت عن عبادة المشركين لهم قالوا إنهم كانوا يعبدون الشياطين، فعبادة الشياطين تتأتى بأن يضل هؤلاء المشركون، فالاستجابة لتوجيه الضلالة عبادة، ولما كانت العبادة من أعمال القلوب – وهم لا يعرفون الغيب – فحملوا

---

[1] رواه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه – ح (٧٧٠) – ج١ – ص٥٣٤.

[2] رواه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ – ح (٧٣٧٩) – ج٩ – ص١١٦.

[3] انظر: مفاتيح الغيب ج٢٥ ص٣٠٠، تفسير القرطبي ج١٤ – ص٢٨١، تفسير الماوردي– ج٤ – ص٤٤٢.

قولهم على الأكثرية ﴿ **أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ** ﴾ دون القطع بالجميع فليس للملائكة علم بما في قلوبهم فما قالوا: جميعهم بهم مؤمنون واكتفوا بالقول " أكثرهم " [1].

٧- الرزق:

وهذه الصفة من صفات الأفعال ومنها اسمي الله (الرازق والرزاق)، يرزق من يشاء، كيفما شاء، دون تبرير للإنفاق، ولا خشية الفقر.

قال الله – تعالى: ﴿**كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ**﴾ [سورة سبأ:١٥].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ**﴾ [سورة سبأ:٢٤].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**﴾ [سورة سبأ:٣٦].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سورة سبأ:٣٩].

ودلالاته في سور القرآن الأخرى كثيرة:

قال تعالى: ﴿**وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سورة المائدة:١١٤].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [سورة الذاريات:٥٨].

ولهذه الصفة دلالة في السنة:

ففي حديث عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أن سمع النبي– صلى الله عليه وسلم يقول: "لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا"[2]

---

[1] انظر: البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٥٧.

[2] رواه الترمذي في سننه– أبواب الزهد – باب في التوكل على الله– ح (٢٣٤٤) – ج٤ – ص٥٧٣.، وقال حديث حسن صحيح، قال الألباني: صحيح.

والرزق نوعان:

الأول: هو ما يرزق به الله خلقه كافة من الإنسان والحيوان والجن، مسلمهم وكافرهم وفاجرهم، ومن ذلك ما قاله– صلى الله عليه وسلم– في حديث أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– قَالَ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ"[1]، وقد يكون الرزق في هذا النوع الأول مالاً حراماً كالربا، أو طعاماً محرماً كالميتة ولحم الخنزير.

والثاني: خاص بالمؤمنين وهو رزق القلوب بالإيمان والعلم والحكمة، والرزق الحلال الذي به يصلح المؤمن دينه ودنياه.

والنوع الأول شكَّل شبهة عند المشركين لمَّا ظنوا أنَّ الذي يرزقهم اليوم لا مانع لرزقه إذا جمعهم في دارٍ أُخرى، وما نحن بمعذبين، فأجابهم الله: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة سبأ:٣٩].

٨- **مُجازي:**

وهي صفة من صفات الأفعال، فسبحانه يجازي المحسن على إحسانه، والكافر والمشرك والظالم على كفره وشركه وعصيانه.

والسورة أثبتت هذه الصفة في آيات عديدة منها:

قال تعالى: ﴿**لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ [سورة سبأ:٤].

وقال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**﴾ [سورة سبأ:٥].

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ**﴾ [سورة سبأ:١٧].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين – ح (٧٣٧٨) – ج٩ – ص١١٥.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سورة سبأ:٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سورة سبأ:٣٨].

وفي القرآن ما يثبت دلالة هذه الصفة في مواضع متعددة:

قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام:٦٠].

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [سورة يوسف:٨٨].

ودلالة مجازاة الله من السنة:

عن أنس بن مالك –رضي الله عنه، قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا"[١]

قال الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله –: "نؤمن أن الله تعالى يجزي الإحسان بالإحسان"[٢]

٩– العزة:

وهي صفة ذاتية من صفاته –عزَّ وجلَّ– من اسم الله العزيز، فله العزة المطلقة لا يعتريه نقص –سبحانه وتعالى.

---

[١] رواه مسلم في صحيحه – كتاب صفات صفة القيامة والجنة والنار – باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا – ح (٢٨٠٨) – ج٤ – ص٢١٦٢.

[٢] القول المفيد على كتاب التوحيد – محمد بن صالح العثيمين – دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية – ط٢ – ١٤٢٤هـ – ج٢ – ص٢٥٩ بتصرف.

وأثبتت السورة هذه الصفة بذكر اسم الله (العزيز) في موضعين، ودللت السورة على الصفة في مواضع غيرها:

قال –عزَّ وجل: ﴿وَيَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ:٦].

وقال –سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة سبأ:٢٧].

وقال –جلَّ في علاه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سورة سبأ:٢٢].

والصفة ثابتة في غير آية من آيات الكتاب الحكيم:

قال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة يونس:٦٥].

وقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات:١٨٠].

ومن السنة نستدل على ثبوت هذه الصفة:

ما رواه ابن عباس –رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ– صلى الله عليه وسلم– كَانَ يَقُولُ: "أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ"[١]

قال ابن القيم – رحمه الله –: "له العزة التامة ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب" [٢]

---

[١] رواه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ – ح (٧٣٨٣) – ج٩ – ص١١٦.

[٢] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – ابن قيم الجوزية – دار المعرفة، بيروت، لبنان – ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م – ص١٨٠.

١٠- الحميد:

وصفة الحميد من الصفات الذاتية لله تعالى، فهو الحميد في ذاته وفي أسمائه الحسنى، وفي صفاته العليا، وفي أفعاله، وشرعه وقدره، وهو المحمود في ذلك كله.

وفي السورة ما يدل على هذه الصفة:

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ...﴾ [سورة سبأ:١].

وقال تعالى: ﴿وَيَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ:٦].

وفي مواضع متفرقة من القرآن دلت على ثبوت هذه الصفة للغني الحميد:

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة البقرة:٢٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة الشورى:٢٨].

ومن السنة ما يدلُّ على هذه الصفة:

ما رواه كعبُ بن عُجرة -رضي الله عنه- لما سألوا النبي- صلى الله عليه وسلم- عن كيفية الصلاة على أهل البيت في التشهد فقال- صلى الله عليه وسلم: "... قولوا: قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ "[1].

وقال ابن القيم -رحمه الله- في نونيته في حمد الحميد:

وَهُوَ الحميد فَكل حمد وَاقع... أَو كَانَ مَفْرُوضًا مدى الْأَزْمَان

مَلأ الْوُجُود جمعيه وَنَظِيره... من غير مَا عدٍ وَلَا حسبان

---

[1] رواه البخاري في صحيحه – كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ – ح (٣٣٧٠) – ج٤ – ص١٤٦.

هُوَ أَهله سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ... كل المحامد وصف ذِي الاحسان [1]

١١- المشيئة:

وهي من صفات الأفعال للمولى سبحانه، فسبحانه يفعل ما شاء متى شاء، فيهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرزق من يشاء، وينزل الغيث متى شاء، وينصر المؤمنين كيفما شاء.

ودلت السورة على هذه الصفة :

قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة سبأ:٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ:٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة سبأ:٣٩].

وكما الصفات السابقة دلَّ القرآن على هذه الصفة في أكثر من آية:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعا...﴾ [سورة يونس:٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ [سورة يس:٤٣].

ومما دلَّ على ثبوت المشيئة لله -سبحانه وتعالى- السنة النبوية:

ما رواه أبي قتاده -رضي الله عنه- حين ناموا عن الصلاة، قال النبي- صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ"[2].

---

[1] متن القصيدة النونية لابن قيم الجوزية – ص٢٠٤.

[2] رواه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب في المشيئة والإرادة: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ – ح (٧٤٧١) – ج٩ – ص١٣٩.

وكذلك ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه " لَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- بِالطَّائِفِ، قَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ- صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ نَبْرَحُ أَوْ نَفْتَحَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاغْدُوا عَلَى القِتَالِ» قَالَ: فَغَدَوْا فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، وَكَثُرَ فِيهِمُ الجِرَاحَاتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ: فَسَكَتُوا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" [١].

وقال ابن القيم – رحمه الله – ناقلاً دلالة المشيئة وأنها صفة لله –سبحانه قائلاً: " قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده " [٢].

١٢- المتفضِّلُ:

وهي صفة من صفات الأفعال، والله سبحانه المتفضل بأنواع الأفضال، فله الفضل في الخلق وفي الرزق وفي الأمن وفي العلم وفي كل شيء، وفضله سابق، فهو المتفضل ابتداء بلا سبب من الخلق[٣].

ودلت السورة على إثبات صفة الفضل لله سبحانه:

قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا داود مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**﴾ [سورة سبأ: ١٠].

وفي آيات الكتاب الحكيم ما يدل على هذه الصفة:

قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا**﴾ [سورة النساء: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿**ذَٰلِك فضل الله يؤتيه من يَشَاء وَالله ذُو الْفضل الْعَظِيم**﴾ [سورة الجمعة: ٤].

---

[١] رواه البخاري في صحيحه – كتاب الأدب – باب التبسم والضحك – ح (٦٠٨٦) – ج٨ – ص٢٣.

[٢] شفاء العليل – ص٤٣.

[٣] انظر: مدارج السالكين ج٣ ص١٠١.

ومن السنة ما يدل على المتفضل:

ما جاء في حديث قتيبة لما سأل الفقراء رسول الله ما يسبقون به الأغنياء في الحديث الذي روي عن أبي هريرة:

" أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، فقال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: «أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم» قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «تسبحون، وتكبرون، وتحمدون، دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة» قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم – فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»"[1].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "فَإِنَّهُ المتفضل بِجَمِيعِ النعم وَإِن جرت بِوَاسِطَة إِذْ هُوَ ميسر الوسائط وَمسبب الْأَسْبَاب"[2]

١٣- بصير:

وهي من الصفات الذاتية لله سبحانه، فهو يبصر ويرى ولا يخفى عليه شيء سبحانه فهو السميع البصير.

ودلت السورة على صفة البصير:

قال تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة سبأ:١١].

ودلالة القرآن على هذه الصفة في مواضع عديدة

---

[1] رواه مسلم في صحيحه – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته – ح (٥٣٧) ج١ – ص٣٨١.

[2] أمراض القلب وشفاؤها لشيخ الإسلام ابن تيمية – المطبعة السلفية – القاهرة – ط٢ – ١٣٩٩هـ – ص٧٧.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة فاطر: ٣١].

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة غافر: ٢٠].

ودلالة السنة على هذه الصفة وفيرة:

في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– لما سأله جبريل عن الإحسان قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[١]

قال ابن القيم – رحمه الله –: "فإنه قد تقرر عقلا ونقلا أن لله –تعالى– صفة البصر ثابتة كصفة السمع"[٢]

١٤- المقدر والقاضي:

وهما من صفاته الفعلية، فهو –سبحانه– قدر الأشياء بقدر وهو يقضي بها في ما قدر أن تقع من وقت أو مكان أو زمان كيفما قدرها وقضاها. [٣]

ودلت السورة على هتين الصفتين:

قال تعالى: ﴿... وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سورة سبأ: ١٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣٦].

---

[١] رواه البخاري في صحيحه – كتاب الإيمان – باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة – ح (٥٠) – ج١ – ص١٩.

[٢] بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية – دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان – ج٢ – ص٤.

[٣] انظر: لوامع الأنوار البهية – ج١ ص٣٥٩.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة سبأ:٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ [سورة سبأ:١٤].

وفي سنة رسول الله ما يدل على تقدير الله وقضائه بما يكفي لاستدلال على ثبوت صفة التقدير له –سبحانه.

وهو ما جاء في حديث المخلفين لما جاء كعب بن مالك –رضي الله عنه– بين يدي رسول الله– صلى الله عليه وسلم– حينما تخلف في غزة تبوك فقال له رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لما صدقه القول: "أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ"[١].

١٥– الحفيظ:

وهي من صفات الأفعال، فيحفظ سبحانه عباده من كل شر ومكروه، ويحفظ لهم ما قدموا من قول وعمل، ويحفظ من شاء من عباده من الذنوب وشرك الشياطين وما يضرهم في حياتهم. [٢]

ودلالة السورة على هذه الصفة:

قال تعالى: ﴿... وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سورة سبأ:٢١].

وفي القرآن ما يدل على حفظ الله –سبحانه.

قال تعالى: ﴿... وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سورة سبأ:٥٧].

---

[١] رواه البخاري في صحيحه – كتاب المغازي – باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة: ١١٨] – ح (٤٤١٨) – ج٦ – ص٣.

[٢] انظر: شرح العقيدة الواسطية للهرّاس– ص١٠٨.

وقال تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [سورة الشورى:٦].

ثبتت صفة الحفظ من سنة النبي- صلى الله عليه وسلم.

فجاء في وصية النبي- صلى الله عليه وسلم- لابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: " يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ "[1]

١٦- العلي، الكبير:

ومن صفة العلو اسمه سبحانه العلي وهو فوق كل شيء، فالله أكبر من كل شيء وأي شيء وله جلّ وعلا العلو المطلق. علو القدر وعلو القهر وعلو الذات.

ودلت السورة على هاتين الصفتين في:

قوله تعالى: ﴿... قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٣].

وفي الدلالة على صفة العلو في كتاب الله:

قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج:٦٢].

---

[1] رواه الترمذي في سننه- أبواب صفة القيامة والرقائق والورع - ح (٢٥١٦) - ج٤ - ص٦٦٧، وقال حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

وتدل السنة على علو الله –سبحانه وتعالى–:

ففي الحديث الذي جاء مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ –رضي الله عنه– للنبي– صلى الله عليه وسلم– وسأله هل يعتق جارية لها بعد أن ضربها فطلب منه النبي صلى الله علي وسلم أن يأتيه بها فَقَالَ لَهَا: "أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: "أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ"[1]

في قول النبي إنها مؤمنة إقرارٌ بعلوه –سبحانه– في السماء.

وقال شيخ الاسلام – رحمه الله –: " قد وصف الله نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش والفوقية في كتابه في آيات كثيرة حتى قال بعض كبار أصحاب الشافعي: في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله عال على الخلق وأنه فوق عباده"[2].

١٧– الفتاح:

صفة من صفات الأفعال، فهو يفتح على عباده أبواب رزقه ورحمته وتوفيقه وتيسيره، فيرشدهم بذلك للطريق ويفتح عليهم الخير الوفير من خيري الدنيا والآخرة، وكذلك يفتح للأرواح.[3]

ودلالة السورة على هذه الصفة:

قوله –تعالى: ﴿**قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**﴾ [سورة سبأ:٢٦].

ما دل على هذه الصفة في القرآن ما ورد في سورة فاطر:

---

[1] رواه مسلم في صحيحه – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته – ح (٥٣٧) – ج١ – ص٣٨١.

[2] مجموع الفتاوى – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) – ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م – ج٥ ص٢٢٦.

[3] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٩٤٧.

قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة فاطر:٢].

ونستدل بالسنة على إثبات هذه الصفة لله –سبحانه.

ما جاء في الحديث الذي رواه أبي هريرة عن سؤال الناس الأنبياء الشفاعة فقال عليه الصلاة والسلام بعد أن ينتهي له الناس يطلبون شفاعته: "فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي"[1].

١٨- شهيد:

وهي صفة من صفات الذات فهو يعلم الحاضر والغائب فلا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض ولا ما فيهما.

ودلالة السورة على هذه الصفة:

قوله –تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة سبأ:٤٧].

وكذلك في باقي سور الكتاب ما يدلل على هذه الصفة:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة يونس:٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [سورة آل عمران:٩٨].

ومما يدل عليها في السنة النبوية:

---

[1] رواه البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن – باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ – ح (٤٧١٢) – ج٦ – ص٨٤.

ما رواه ابن عباس رضي الله عنهم فيما أخبر به النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه يوم القيامة يؤخذ بأناس ذات الشمال فيقال لي: "لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ"، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: "وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا، مَا دُمْتُ فِيهِمْ"[1].

وجاء في مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة: "أهل العلم والإيمان فيشهدون له – النبي صلى الله عليه والسلم – بما يشهد الله به وشهدت به ملائكته وخيار القرون أنه بلغ البلاغ المبين القاطع للعذر المقيم للحجة" [2].

١٩- الهادي:

وهي صفة من صفات الأفعال، فهدايته سبحانه للخلق كلهم، هداية دلالة للخلق كلهم الإنسان والحيوان والطير وحتى الجن، وهداية توفيق وهي مما يتفضل به الله على عباده المؤمنين، فيهدي قلبه للإيمان ويوفقه لما يحب ويرضى حتى يهدي المؤمن طريق دخول الجنة يوم يلقاه، جعلني الله وإياكم من أهلها، ونسأله أن يكون بحثنا هذا مما وفقنا الله وهدانا إليه.

وتثبت السورة صفة الهداية لله سبحانه بأنواعها الأربعة:

- هداية عامة:

الهداية العامة المشتركة بين الخلق وهي المقصودة من قوله –تعالى: ﴿**الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ [سورة طه: ٥٠]، وهذه الهداية تشمل هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، وتشمل هداية الجماد، فلكل نوع من الجمادات هداية تليق به كما أن لكل مخلوق هداية تليق به على اختلاف أنواعها وضروبها، ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها إلا هو، فتبارك الله رب العالمين ومنها هداية الطير والجبال بالتسبيح، وهداية الجن بصنع المحاريب والتماثيل والقدور. [3]

---

[1] رواه البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن – باب ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا ﴾ – ح (٤٧٤٠) – ج٦ – ص٧٩.

[2] مختصر الصواعق المرسلة – ص٥٣٤.

[3] انظر: لوامع الأنوار البهية – ج١ ص٣٤٤.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سورة سبأ:١٠]

فهدى الله -جل في علاه- الطير والجبال يسبحون مع تسبيح سليمان -عليه السلام- ومما روي أنه كان إذا تلى الزبور أجابته الجبال والطير ورجعت معه. [١]

وقال تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ﴾ [سورة سبأ:١٣]

فهدى الهادي سبحانه الجن أن تصنع هذه الصناعات (القصور، أو المساجد، التماثيل المصنوعة من الزجاج والنحاس والرخام، والقدور الراسيات) لسليمان -عليه السلام- تفضيلاً منه، وهذه هداية عامة. [٢]

- هداية بيان ودلالة:

هداية يبين الله بها نجدي الخير والشر، وطريقي الهلاك، والنجاة، وهذه لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب ; وهي الهداية المراد بها في قوله سبحانه: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [سورة فصلت: ١٧] [٣]

قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الزمر:٣٢].

- وهداية التوفيق والإيمان:

وهي الهداية التي توصل العباد إلى طريق الخير والرشاد، ومنها ما وصل إليه الذين أوتوا الكتاب من إدراك أن المُنَزَّل إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- هو الحق.

---

[١] انظر: معاني القرآن - أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ) - ت: محمد علي الصابوني - جامعة أم القرى - مكة المرمة - ط١ - ١٤٠٩هـ - ج٥ - ص٣٩٥.

[٢] انظر: تفسير القرطبي - ج١٤ - ص٢٧١.

[٣] انظر: لوامع الأنوار البهية - ج١ ص٣٤٥.

قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ:٦].

وهذا الذي وصل إليه من آمن من علماء أهل الكتاب بتوفيق الله سبحانه وما جاء في كتابه من آيات عظام لا يسع من قرأها وتدبرها إلا أن آمن وهُدي بإذن الله. [١]

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾ [سورة سبأ:٥٠].

ففي الأمر السابق للنبي- صلى الله عليه وسلم- في ختام محاجة أهل الشرك إن كنت ضللت الطريق فذلك على نفسي، وإن اتبعت هدى الله فبما أوحى إلي به الله وهداني له جلَّ في علاه. [٢]

- هداية إلى الجنة أو إلى النار:

وهي الغاية لهداية التوفيق والإلهام، ومقصد كل موحد، وهي يوم القيامة، الهداية إلى الجنة أو إلى النار.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سورة سبأ:٣٧].

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [سورة سبأ:٣٨].

ومما يثبت هذه الصفة من آيات كتاب الله:

قوله -تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٦].

---

[١] انظر: في ظلال القرآن – ج٥ – ص٢٨٩٤، تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٦٢.

[٢] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن- ج٢٠ – ص٤٢٠.

ومما يثبت هذه الصفة في السنة:

ما وصَّى به النبي– صلى الله عليه وسلم– علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– حين أعطاه الراية يوم خيبر، فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"[1]

٢٠- القرب:

وهي صفة من صفات الأفعال، فالله قريب من عباده، يسمع دعاءهم، يحفظهم بحفظه، يقترب من عباده كيفما شاء وبما يليق به.

والآية التي تدل على هذه الصفه هي:

قوله –تعالى: ﴿**قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**﴾ [سورة سبأ:٥٠].

وفي القرآن نجد دلالة الصفة في آيات عديدة منها:

قوله –تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

وقوله –تعالى: ﴿**... فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**﴾ [سورة هود:٦١].

وفي السنة ثبتتُ صفة القرب لله سبحانه:

جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال:" يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي

[1] رواه البخاري في صحيحه – كتاب المغازي – باب غزوة خيبر – ح (٤٢١٠) – ج٥ – ص١٣٤.

نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: " وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستوائه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر "[2].

٢١- السميع:

وهي صفة من صفات الذات لله سبحانه: فإنه –سبحانه وتعالى– سميع أحاط بسمعه كل الأصوات الهمس منها والجهر، دون أن تختلط عليه، ومن سمعه سبحانه استجابته لمن سأله ودعاه.

ودلالة الصفة في السورة:

قوله –تعالى: ﴿**قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**﴾ [سورة سبأ:٥٠].

ومن دلالة سور القرآن على صفة السمع:

قوله –تعالى: ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [سورة الأنعام:١٣].

وقوله –تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ [سورة إبراهيم:٣٩].

وما يدل على سمعه سبحانه من السنة:

---

[1] رواه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ – ح (٧٤٠٥) – ج٩ – ص١٢١.

[2] مجموع الفتاوى – ج٥ ص٤٦٦.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "[1].

٢٢- القابض الباسط:

صفتين من صفات الله سبحانه الفعلية، ولا تطلق الصفة من الصفتين إلا مقرونة بما يقابلها، فهو سبحانه يبسط الأرزاق والأعمال ويقبض -سبحانه وتعالى.

ودلالة السورة على هاتين الصفتين جاءت في:

قوله -تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**﴾ [سورة سبأ:٣٦].

وقوله -تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سورة سبأ:٣٩].

ومن باقي السور ما يدل على هاتين الصفتين:

قوله -تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [سورة البقرة:٢٤٥].

قوله -تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [سورة الروم:٣٧].

ومن السنة ما يدل على هاتين الصفتين: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: غَلَا السِّعْرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ «إِنَّ اللَّهَ هُوَ المُسَعِّرُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الرَّزَّاقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ» [2].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه – كتاب الأذان – باب فضل اللهم ربنا لك الحمد – ح (٧٩٦) – ج١ – ص١٥٨.

[2] رواه الترمذي في سننه– أبواب البيوع – باب ما جاء في التسعير – ح (١٣١٤) – ج٣ – ص٥٩٧، وقال هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

٢٣- الألوهية:

وهي من صفات الذات، والاسم الدال على هذه الصفة لفظ الجلالة (الله) وهو أعظم اسم من أسماء الله التسعة والتسعين ؛ فالله هو الإله المعبود المتفرد باستحقاق العبودية، المتصف بجميع صفات الكمال ونعوت الجلال. [١]

قال شيخ الإسلام –رحمه الله –: " إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله"[٢]

وما مر في المطلب الثاني من المبحث الأول لهو من دلالة السورة على هذه الصفة.[٣]

ومن الآيات الدالات على أُلوهيته –تعالى:

قوله –تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ...﴾ [سورة سبأ:١].

وقوله –تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ...﴾ [سورة سبأ:٢٤].

وقوله –تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِىَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة سبأ:٢٧].

وفي كتاب الله –سبحانه– ما يثبت هذه الصفة:

قوله –تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ

---

[١] انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين – لابن قيم الجوزية – دار السلفية – القاهرة – ط٢ – ١٣٩٤ – ص٤٥.

[٢] درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية – ت: الدكتور محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية – ط٢ – ١٤١١هـ – ١٩٩١م – ج١ – ص٢٢٤.

[٣] انظر: هذا البحث ص١٥.

عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

وقوله –تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [سورة طه:٨].

ولا يكاد يخلو دعاء من أدعيته– صلى الله عليه وسلم– إلا وفيه ما يثبت الألوهية لله:

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ– صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ: "اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، قَوْلُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ لِي غَيْرُكَ"[(١)].

وإن أعظم دليل على توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية، وجاء في القرآن الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ؛ لصحة دلالته، وقبول العقول والفطر السليمة لها، فعباد الأصنام كانوا يؤمنون بالربوبية رغم إنكارهم للألوهية، نقيم عليهم الحجة بتصديقهم بالربوبية فنلزمهم بالألوهية. [(٢)]

يقول ابن القيم – رحمه الله –: "اسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه. وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص؛ ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]" [(٣)].

[(١)] رواه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ – ح (٧٣٨٥) – ج٩ – ص١١٧.

[(٢)] انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين – ص٤٥.

[(٣)] مدارج السالكين – ج١ – ص٦٥.

٢٤- الربوبية:

وهي صفة فعلية للرب، فالله -سبحانه وتعالى- هو الرب وهو الرازق والخالق والمحيي والمميت والمصور فصفة الربوبية تستلزم صفات الأفعال كلها.

وتوحيد الربوبية هو الإقرار بأنَّ الله -تعالى- خالق كل شيء ومدبره، وأنَّه ليس للكون صانعان متكافئان في صفاتهما وأفعالهما، وهذا التوحيد تقر به الفطر ولم ينقل قول يناقضه عن أحد. [١]

ودلت السورة على الربوبية في مواضع عديدة منها:

قوله -تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ:٣].

وقوله -تعالى: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سورة سبأ:١٥].

وقوله -تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سورة سبأ:٢١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة سبأ:٤٨].

وفي غيرها من السور عديد من الآيات ما يدل على الربوبية.

قوله -تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام:١٠٢].

وقوله -تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة الشورى:١٠].

وفي السنة ما يثبت هذه الصفة للرب -سبحانه وتعالى:

---

[١] انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي - ص٢٥، بدائع الفوائد - ج٤ - ص١٣٢.

فعن أنس –رضي الله عنه– قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ– صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ شُفِّعْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ فَيَدْخُلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ أَدْخِلِ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ "[1].

٢٥– الكلام:

وكلام الله صفة من صفات الأفعال وصفات الذات، فيتكلم الله –سبحانه وتعالى– بحرف وصوت، وهو متصف بالكلام ولم يزل متكلماً، وكلامه بما شاء ومتى شاء وكيفما شاء ولمن شاء –سبحانه وتعالى– وأن هذا القرآن هو كلام الله الذي تكلم به. [2]

، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [سورة سبأ:٢٣].

فلما أوحى الله إلى محمد– صلى الله عليه وسلم– سمع الملائكة صوت الوحي كوقع الحديد على الصفا فظنوا أنه أمر من الساعة، ففزعوا وخروا لوجوههم سجدًا. فسمعت الملائكة كلام الله كلاماً ﴿**قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [سورة سبأ:٢٣] وذلك أن الملائكة لم يسمعوا صوت الوحي ما بين عيسى ومحمد– صلى الله عليه وسلم– وبينهما كذا وكذا سنة، فكانوا إذا سمعوا كلام الله صعقوا، فإذا أفاقوا من الصعقة تساءلوا ماذا قال ربكم قالوا: " الحق "، وهذا دليل على أن القائل هو الله. [3]

---

[1] رواه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب كلام الرب –عزَّ وجلَّ– يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم– ح (٧٥٠٩) – ج٩ – ص١٤٦.

[2] انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد – ج١ – ص٨٣.

[3] انظر: الرد على الجهمية والزنادقة – أحمد بن حنبل – ت: صبري بن سلامة شاهين – دار الثبات للنشر والتوزيع – ط١ – ص ١٢٠، القول المفيد على كتاب التوحيد – محمد بن عثيمين – ج١ – ص٣٠٧.

وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ –رضي الله عنه: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الحَقُّ وَنَادَوْا»: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ [سورة سبأ: ٢٣]" [١]

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سورة سبأ:٤٠].

والآيات الدالة على كلام الله في غير السورة من كتاب الله:

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنعام:١١٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [سورة الكهف:١٠٩].

وحديثه القرآن وهو كلامه... صوت وحرف ليس يفترقان[٢]

وبهذا أكون قد استعرضت ما تمكنت من استنباطه من الأسماء الحسنى والصفات العلى في سورة سبأ.

---

[١] رواه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى ﴿وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ: ٢٣]، " وَلَمْ يَقُلْ: مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ"– ح (٧٤٨١) – ج٩ – ص١٤١.

[٢] القصيدة النونية للقحطاني – لعله أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، المعافري الأندلسي المالكي (المتوفى: ٣٧٨هـ) – ت: عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع – دار الذكرى – ط١ – ص٥٢.

المبحث الثالث:

الشكر والكفر بالنعم في سورة سبأ.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشكر والكفر لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الشكر والكفران في سورة سبأ.

المطلب الثالث: وجوب الشكر، والنهي عن الكفر.

المطلب الرابع: فضل الشكر.

المبحث الثالث:

الشكر والكفر بالنعم في سورة سبأ.

تستعرض سورة سبأ أحوال من شكر الله حق شكره ومن كفر بأنعمه بعد أن جحد نعمه، وكذلك حال من صبر في مواجهة المحن وفي مقابله حال من كفر بالله.

المطلب الأول: الشكر والكفر لغة واصطلاحاً:

أولاً: الشكر لغة:

الشكر هو الظهور، وعرفوه عرفان الإحسان ونشره وحمد موليه، وهو الشُّكُورُ أيضاً. [١]

عرفه ابن منظور أيضاً: "مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيثني على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه موليها."[٢]

وعرَّفه الجرجاني: "الشكر عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب، وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه... والشكر اللغوي: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان."[٣]

ثانياً: الشكر اصطلاحاً:

عرفه ابن عباس – رضي الله عنهما –: الشكور: "من يشكر على أحواله كلها". [٤]

عن محمد بن كعب – رحمه الله– قال: " الشكر: تقوى الله، والعمل بطاعته ".[٥]

---

[١] العين – ج٥ – ٢٩٢، لسان العرب – ج٤ – ص٤٢٣.

[٢] لسان العرب – ج٤ – ص٤٢٣.

[٣] التعريفات– ص١٢٨.

[٤] البحر المحيط في التفسير– ج٨ ص٥٢٩.

[٥] جامع البيان في تأويل القرآن – ج٢٠ ص٣٢٨.

وعرفه القرطبي– رحمه الله: "الاعتراف بالنعمة للمنعم واستعمالها في طاعته".[١]

والشُّكْرُ مثل الحمد إلا أن الحمد أعم منه، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفه، ولا تشكره إلا على معروفه دون صفاته.

"وَأما الشكورُ من عباد الله فَهُوَ الَّذِي يجتهدُ فِي شكر ربِّه بِطَاعَتِهِ وأدائه مَا وُظِّفَ عَلَيْهِ من عِبَادَته"[٢]

ثالثاً الفرق بين الحمد والشكر:

الحمد أعم من الشكر باعتبار المتعلق، فالحمد يكون على الصفات والمعروف، بخلاف الشكر فلا يكون إلا على المعروف. [٣]

فلا يمكن أن نقول شكرنا على سمعه وبصره وإحاطته وهو المحمود عليها، ويمكننا أن نشكره سبحانه على عفوه ورزقه وإحسانه وكذلك سبحانه محمود عليها.

والشكر أعم من الحمد باعتبار ما يكون به، فالشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، أما الحمد فلا يكون إلا باللسان. [٤]

الشكر لا يكون إلا ثناء ليد أوليتها، والحمد قد يكون شكراً على يد أو ابتداء للثناء على الرجل، فيكون ليد ولغير يد، قاله ثعلب والأزهري–رحمهما الله. [٥]

---

[١] تفسير القرطبي – ج١٤ ص٢٧٦.

[٢] تهذيب اللغة – محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) – ت: محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – ٢٠٠١م – ج١٠ – ص١٢.

[٣] انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر– ج٢ – ص٤٩٣.

[٤] انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم– ج١ – ص١٠٣٨.

[٥] انظر: لسان العرب – ج٣ – ص١٥٥.

رابعاً: الكفر لغة:

الكفر: الغطاء كفر الشيء وكفّره: غطّاه، وسمي الكافر كافراً؛ لأنه غطى قلبه كله، يقال: كفر السحاب السماء أي غظَّاه.[١]

"الكُفرُ: نقيض الإيمان. ويقال لأهل دار الحرب: قد كَفَروا، أي: عصوا وامتنعوا. والكُفرُ: نقيض الشكر. كَفَر النعمة، أي: لم يشكرها."[٢]

خامساً: الكفر اصطلاحاً:

"الْكفْر ستر النِّعْمَة وإخفاؤها."[٣]

وقيل: الكفر هو ما ناقض الإيمان، وهو تغطية نعم الله بالجحود.[٤]

ويراد بالكفر أيضاً كفر النعمة، وسمي الكافر كُفْر شرك كافراً مبالغة وتعظيماً ؛ لأنه ضيع حقوق الله وما شكره كما يجب عليه من الشكر [٥].

ولما كان معنى الكفر لغة هو الستر والإخفاءَ بعكس الشكر الذي هو الظهور والنشر، فظهر أنَّ الاسمين متضادان، وبه يظهر معنى الكفر شرعاً بعكس معنى

---

[١] انظر: تهذيب اللغة – ج١٠ – ص١١٢، أساس البلاغة – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) – ت: محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م – ج٢ – ١٤٠.

[٢] التعريفات – ج٥ – ص٣٥٦.

[٣] المخصص – أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) – ت: خليل إبراهم جفال – إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م – ج٣ – ص٤٢٤.

[٤] انظر: تاج العروس من جواهر القاموس – بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) – ت: مجموعة من المحققين – دار الهداية – ج١٤ – ص٥٢.

[٥] انظر: الفروق اللغوية – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) – ت: محمد إبراهيم سليم – دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر – ص٢٣٠.

الشكر الذي هو إظهار النعمة والثناء على المنعم والاعتراف بالنعمة، فيكون الكفر جحود النعمة ونكرانها من المنعم.

وعرفه الباقلاني –رحمه الله: " هو ضد الإيمان وهو الجهل بالله –عز وجل– والتكذيب به الساتر لقلب الإنسان عن العلم به فهو كالمغطي للقلب عن معرفة الحق"[١]

وعرفه ابن عابدين –رحمه الله: " تكذيبه– صلى الله عليه وسلم – في شيء مما جاء به من الدين بالضرورة "[٢].

[١] تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل– ص٣٩٤.

[٢] رد المحتار على الدر المختار – ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) – دار الفكر–بيروت – ط٢ – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م – ج٤ – ص٢٢٣.

المطلب الثاني: الشكر والكفران في سورة سبأ.

أولاً: الشكر في سورة سبأ:

تقرر سورة سبأ وجوب الشكر لله –سبحانه وتعالى– بعرض نموذج للشاكرين على ما أنعم الله عليهم من عظيم نعمه وهم آل داود –عليه السلام– فقال تعالى:

﴿اعْمَلُوا آلَ داود شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ:١٣].

فيأتي الأمر من الله –سبحانه – لآل داود –عليهم السلام– بأن يشكروا الله على ما أنعم عليهم فإنَّ الله – سبحانه – قد أغدق على آل داود من نعمه وذكر من هذه النعم في السورة فقال:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا داود مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيد ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ داود شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ:١٠–١٣].

فبعد هذه النعم، ذكر الله –سبحانه وتعالى– لهم ما يحفظ به عليهم النعم؛ بل ما يتوجب عليهم فعله بعد النعم فقال: ﴿اعْمَلُوا آلَ داود شُكْرًا ۚ﴾. [١]

وفي هذا الأمر ﴿اعْمَلُوا آلَ داود شُكْرًا ۚ﴾ ذكر أهل العلم له تأويلات:

قال يحيى بن سلام –رحمه الله: "إنه توحيد الله تعالى."[٢].

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ١٩٩، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٢٩.

[٢] تفسير الماوردي– ج٤ – ص٤٣٩.

وقال محمد بن كعب –رحمه الله– قال: " الشكر: تقوى الله، والعمل بطاعته "[1]، ومثله قال الطبري–رحمه الله.[2]

وقيل: الاعتراف بنعم الله بحمدها وبالعمل كالصلاة والصيام والعبادات.[3]

فالآية تدل على أن النعمة توجب الشكر، والشكر يكون باللسان حمداً، وبالجنان توحيداً وإيماناً، وبالجوارح أعمالاً وصلاحاً؛ ولهذا كان الشاكرون قلة.

ومما يظهر استجابة آل داود –عليهم السلام– لهذا الأمر ما روي من أنه لم تكن تمر ساعة إلا وواحد من آل داود قائم يصلي، فيتناوبون على ساعات الليل والنهار فإذا جلس هذا قام هذا.[4]

وعند حلول النعم يستوجب الشكر، فلما تفضل الله على داود وجعل معه الطير والجبال يسبحون، وألان له الحديد ليعمل به الدروع، وعلى سليمان أنعم عليه بسرعة التنقل على غير العادة، وسخر له الجن يعملون له ما شاء من قصور وتماثيل وجفان (القصعة) وقدور راسيات، أمرهم بالشكر، فسمعوا وأطاعوا لذلك فعملوا صالحاً وشكروا الله حق شكره.

وإنَّ الله –سبحانه وتعالى– تفضل على كل مخلوق بنعم عديدة، فمن الحياة بداية والصحة والعافية والولد والزواج حتى أصغر من ذلك، وعلى هذه النعم فالعبد مهما بلغ وبالغ في شكر النعمة فإنه قاصر عن الوفاء، فكيف بمن هو مقصر عن الشكر.

ويذكر صاحب الظلال ما تعرض له من حرمان لنعمة الشمس خلال فترة قضاها في السجن، وكيف شعروا بعظم هذه النعمة التي يجهلها كثير ممن اعتاد عليها، وكيف غمرهم فرح

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن – ج٢٠ ص٣٢٨.

[2] انظر: السابق – ج٢٠ – ص٣٦٨.

[3] انظر: تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٧٧، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٢٩، التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٦٣.

[4] انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان – نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) – ت: الشيخ زكريا عميرات – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٦ هـ – ج٥ – ص٤٤٨.

شديد حين عادوا ليلتقوا مع نورها ودفئها مجدداً. [1]

ثانياً: الكفران في سورة سبأ:

وبعد أن أقرت السورة وجوب الشكر لله –سبحانه– حذرت من خطر الكفر بنعم الله – تعالى.

وتحكي السورة قصة قوم سبأ وكيف كانت نعم الله – عزَّ وجلَّ– تغشاهم، فأكرمهم – سبحانه– بنعم عظيمة، بداية كيف سخر الله لهم أن يتحكموا في مياه الأمطار الغزيرة التي كانت تسبب سيلاً عظيماً يخرب زرعهم وجنانهم، فجعلهم يتحكمون في هذه المياه، وزرعوا أرضهم فصارت لهم جناناً عديدة عن يمين السد وشماله.

ومما ذكر من نعيم الله على قوم سبأ أن المرأة منهم كانت إذا دخلت إحدى هذه الجنان وسلَّتها على رأسها، تمتلئ هذه السلة بأطيب الثمار وأنضجها وأطيبها دون عناء البحث والقطف، وما تتمتع به هذه الجنان من ظل دائم بكثرة شجرها. [2]

وكان من نعم الله على تلك البلاد أنها بلدة طيبة، فهي خالية من الحشرات التي تضر الحيوان، وتتلف الثمار، وتزعج الخلق، وتسبب المرض، فأنعم الله عليهم بأن عافاهم منها، ولا يوجد بها هوام ولا عقارب فتذهب أمن قاطنيها، ومن طيبها أن الطقس فيها لا هو بارد قارس ولا حر شديد؛ بل طيب مقبول لا يُتأذى منه، وهذه بعض النعم التي تنعم بها قوم سبأ وهي أكثر من ذلك فإن نعم الله على كل بلد لا تعد ولا تحصى. [3]

وبعد هذه النعم أمرهم –سبحانه– بواجبهم نحوها، وما يحفظون به هذه النعم، بأن يؤدوا حقها فيشكروا الله، باللسان حمداً، وبالتوحيد اعتقاداً، وبالأركان عملاً، كما أمر آل داود بعد أن أنعم عليهم، فقال سبحانه لسبأ: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سورة سبأ:١٥].

---

[1] في ظلال القرآن – ج٥ – ص٢٨٩٩.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن – ج٢٠ ص٣٧٦، تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٨٤، الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٦ – ص٦٩٣.

[3] انظر: السابق – ج٢٠ ص٣٧٧، مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص٢٠٠.

ولو أنهم آمنوا وشكروا لحفظ الله عليهم ما فضلهم به عن غيرهم، إلا أنهم كفروها بإعراضهم عن اتباع الأنبياء، وأشركوا بعد أن كانوا مسلمين، وأنكروا أنَّ هذه النعم والأفضال من الله –سبحانه وتعالى.[1]

وقال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سورة سبأ:١٦].

فبعد هذا الإعراض جعل الله –سبحانه وتعالى– فناء هذه الجنان، وكان إهلاكها بما كان قد جعله الله سبباً رئيساً في إيجادها، وهو السد، فبأمره سبحانه صار هذا السد الذي كان في نظر قوم سبأ سبب النعمة سبب الهلاك والفناء، وبذلك كانت الرسالة من الله أن أرسلنا عليهم سير العرم، وأذهب ذلك النعيم وأبدلهم بالأشجار التي تثمر أطيب الثمار وألَذِّها، أشجاراً لا يؤكل ثمرها وذات أشواك ولا يطول ظلها.

وما كان ذلك إلا لما كفروا النعمة وذلك قوله –تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سورة سبأ:١٧].

وكان الله قد أنعم عليهم أيضاً بقرب القرى التي في طريق سفرهم لبيت المقدس فقال تعالى– مبيناً تلك النعمة العظيمة: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سورة سبأ:١٨]، وذلك أن الله جعل بينهم وبين بلاد بيت المقدس قرىً ظاهرة لهم إذا خرجوا من هذه بدت لهم الأخرى، وكانوا إذا خرجوا من هذه صباحاً أمسوا في القرية التي تلتها مساءً، وإذا خرجوا مساءً أصبحوا في القرية التي تلتها، فكانوا آمنين في تنقلهم وسفرهم فلا يخشون قاطع طريق، ولا أن يتيهوا في الصحراء، أو يُكثروا الزاد فيثقل حملهم فيزيد عبء السفر. [2]

---

[1] انظر: تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٨٥، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٣٥، التحرير والتنوير ج٢٢ ص١٣٤.

[2] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص٢٠١، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٣٧ ..

وهذه نعمة عظيمة لا تقل شأناً عما سبقها من الجنان، إلا أن قوم سبأ ما اتعظوا من ضياع تلك الجنان، فاستمروا في كفرهم وربما زادوا فقالوا: ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ**﴾ [سورة سبأ:١٩].

وَظُلْمِهِم بالمطالبة بأن يباعد الله بين أسفارهم كناية عن عدم استجابتهم لشكر الله وتوحيده، فكان ذلك الإعراض منهم كالطلب بإذهاب هذه النعم، فكفر النعمة سبب زوالها، كما أن الشكر سبب حفظها وزيادته. [١]

وبعد ذلك الكفر بنعمة الوصل والأمان، أذهب الله عنهم ذلك الإنعام، وزادهم أن قطعهم وضيعهم في الأرض فتفرقوا، حتى صار يضرب بهم المثل ويقال: "تفرقوا أيدي سبأ"[٢]

وعن عكرمة –رحمه الله– قال: "كان لسبأ مجلس مشيد بالمرمر فأتاهم ناس من الأنصار يقولون لهم اشكروا الله الذي أعطاكم هذا، فقالوا: ومن أعطانا !؟، إنما كان لآبائنا فورثناه ". [٣]

فكان هذا هو الكفر بذاته الذي هو ستر النعمة وإخفاؤها.

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص٢٠١، الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٦ – ص٦٩٣.

[٢] انظر: تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٩١، التحرير والتنوير ج٢٢ – ص١٧٨.

[٣] الدر المنثور في التفسير بالمأثور– ج٦ – ص٦٨٩ بتصرف.

المطلب الثالث: وجوب الشكر، والنهي عن الكفر:

بعد أن أغدق الله على آل داود –عليه السلام– من فيض كرمه، وعلى قوم سبأ من عظيم فضله أمرهم بالشكر وذلك خلال آياتها وما فيها من ذكر آل داود –عليه السلام– وقوم سبأ، قال سبحانه لآل داود –عليه السلام–: ﴿اعْمَلُوا آلَ داود شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ:١٣].

فلما سخر الله لداود وسليمان –عليهما السلام– ما استصعب على غيرهما أتبعه بأمرهما بالشكر، والشكر –كما مر– أنه قول وعمل بالجوارح والأركان. [١]

وقال –تعالى– لقوم سبأ: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سورة سبأ:١٥].

فأمرهم أن تنعموا وكلوا من رزق الله واشكروا له على ما أنعم عليكم من نعم.

وإن النبي– صلى الله عليه وسلم– لما سألته أمُّنا عائشة –رضي الله عنها– عن سبب هذا القيام الطويل في جوف الليل حتى تتفطر قدماه، أجابها –عليه الصلاة والسلام– بقوله:

" أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا... الحديث "[٢]

وأركان الشكر يجب أن تتحقق ليكون الشاكر فيها شاكراً، وعرض ابن القيم – رحمه الله– هذه الأركان، وهي: " الاعتراف بالنعمة، والثناء على الله بها، والخضوع والمحبة للمنعم، وأن لا يستعمل هذه النعم فيما يكره المنعم "[٣].

فقوم سبأ أخلوا الأركان كلها، فلم يعترفوا بالنعمة وما حمدوا الله عليها لما قال لهم النصارى اشكروا الله الذي آتاكم هذا، فكفروا بأنعمه وقالوا ورثنا هذا عن آبائنا.

---

[١] انظر: التحرير والتنوير ج٢٢ – ص١٥٧.

[٢] رواه البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن– بَابُ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ – ح (٤٨٣٧) – ج٦ – ص١٣٥.

[٣] مدارج السالكين ج٢ – ص٢٣٤.

وما خضعوا للمنعم باستجابة دعوة الأنبياء الذين أرسلوا إليهم، حيث قيل إنَّ الله بعث إلى سبأ اثنى عشر نبياً [1]

وحذرت السورة من الكفر بما أنعم الله به على العبد، فالكفر يُذهِب بالنعم، وذلك ما قررته السورة في قصة قوم سبأ حيث أذهب الله النعم بعدما كفروا بها فقال: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سورة سبأ:١]، وقال أيضاً سبحانه بعد أن قطعهم في الأرض وأذهب عنهم نعمة القرى الظاهرة وأمنهم في سفرهم: ﴿...وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سورة سبأ:١٩]. ليقرر القاعدة: (الكفر يَذْهَبُ بالنعم) ويتعظ من تنفعه الموعظة.

وفي غير موضع من كتاب الله –سبحانه وتعالى– تقررت هذه القاعدة فتكفي كل معتبر قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم:٧].

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة –رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– وفيه الثلاثة الذين ابتلاهم الله الأبرص والأقرع والأعمى، فبعث الله ملكاً لكل واحد منهم فشفاههم على يده بإذن الله وأعطاهم من المال الوفير حتى أغناهم، ثم أرسل لكل منهم ذات الملك على هيئة سائل ليبتليهم فقال الملك للأبرص: "ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله؟" فقال الأبرص: " لقد ورثته كابراً عن كابر"، وقال الأقرع مثل ذلك، ولما قال للأعمى سأل الأعمى: " قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيرا فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله"، فقال – الملك – أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك"[2]

فأذهب الله النعم عن من كفر بها لمَّا لم يؤت حقها ولم يعمل صالحاً تجاهها كما صاحبهم الأعمى.

---

[1] انظر: تفسير الماوردي – ج٤ – ص٢٠٣، الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٦ – ص٣١٥.

[2] رواه البخاري في صحيحه – كتاب أحاديث الأنبياء – باب ما ذكر عن بني إسرائيل – ح (٣٤٦٤) – ج٤ – ص١٧١.

وإن هذا النكران ما هو إلا إفاءٌ من إبليس بما أخذه على نفسه بإغواء بني آدام وصدهم عن الشكر لربهم فقال الله إخباراً عنه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٦، ١٧].

ولما استطاع إبليس منع قوم سبأ من شكر الله –سبحانه– بوساوسه، وصلوا حد الكفر والجحود بالنعم قال – سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة سبأ:٢٠].

وما تلك الابتلاءات إلا تمحيصٌ للخلق فمنهم من يشكر ربه وينيب إليه، ومنهم من يكفر ويجحد ويشرك به، وفي كل الحالات سيحفظ الله لكل أناس فعلهم إن كان خيراً أو شراً قال – تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سورة سبأ:٢١].

المطلب الرابع: فضل الشكر:

والشكر من صفات المؤمن فعن صهيب –رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ" [1].

وإن الشكر على وجوبه فهو أيضاً من أسباب زيادة النعم على الشاكر فقد قال– تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [سورة إبراهيم:٧].

وكذلك روى أَبُو زُهَيْرٍ يَحْيَى بْنُ عُطَارِدٍ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: " لَا يَرْزُقُ اللهُ عَبْدًا الشُّكْرَ فَيَحْرَمَهُ الزِّيَادَةَ لِأَنِ اللهَ –عزَّ وجلَّ– يَقُولُ: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [سورة إبراهيم: ٧]" [2]

ويظهر ما يميز الله به عباده الشاكرين في عطاء الله لداود وسليمان –عليهما السلام– تسبيح الجبال والطير وإلانة الحديد الصلب ليكون في يدي داود –عليه السلام– كالعجين، والريح لسيمان –عليه السلام– تجري بأمره بسرعة غير مسبوقة، وإسالة عين من نحاس له لتكون كينبوع الماء من الأرض، والجن فوق ذلك يعملون له ما يشاء من المحاريب والتماثيل والجفان والقدور العظيمة، مع ذلك لا يخالف أحد منهم أمره.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ**

---

[1] رواه مسلم في صحيحه – كتاب الزهد والرقائق– باب المؤمن أمره كله خير– ح (٢٩٩٩) – ج٤ – ص٢٢٩٥.

[2] رواه البيهقي في شعب الإيمان – تعديد نعم الله –عزَّ وجلَّ– وما يجب من شكرها – ح (٤٢٠٨) – ج٦ – ص٢٩٢.

﴿أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ: ١٠-١٢].

وكأنَّ تذييل الآيات بقوله تعالى ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ ما كان إلا بشكرهم لله سبحانه.

الفصل الثاني

منهج سورة سبأ في تقرير النبوات

ويشمل أربعة مباحث /

المبحث الأول : الأنبياء -عليهم السلام - ووظائفهم في سورة سبأ.

المبحث الثاني : اتهامات المشركين الرسولَ - صلى الله عليه وسلم - في سورة سبأ.

المبحث الثالث : تقرير سورة سبأ للشفاعة والرد على المبطلين.

المبحث الرابع : منهج سورة سبأ في التقرير بأن القرآن من عند الله والرد على الطاعنين.

المبحث الأول :

الأنبياء -عليهم السلام - ووظائفهم في سورة سبأ.

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف النبي والرسول في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني : الأنبياء في سورة سبأ.

المطلب الثالث : ذكر النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في سورة سبأ.

المطلب الرابع : تفاضل الأنبياء في سورة سبأ

المطلب الخامس : منهج سورة سبأ في إثبات أن الرسل لم يأتوا بما تحيله العقول.

المبحث الأول:

الأنبياء –عليهم السلام– ووظائفهم في سورة سبأ.

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول في اللغة والاصطلاح.

أولاً: النبي لغة:

النبي مشتق من النَّبَأ، وهو الخبر، ومنها سمي النبي نبياً؛ لأنه مخبر عن الله –تعالى– قال تعالى: **(عمَّ يتساءلون - عن النبـأ العظـيم)** [سورة النبأ: ١-٢]. وجمعها: أنبياء نبآء وأنباء والنبيؤون، والاسم: النبوءة، والمختار ترك الهمزة. [١]

وقيل: " النبي من (النبوة) و (النباوة)، وهي الارتفاع من الأرض؛ لارتفاع قدره ولأنه شرف على سائر الخلق." [٢]

وقال الكسائي –رحمه الله: "النبي: الطريق، والأنبياء: طرق الهدى." [٣]

وقيل النبي: "من أوحي إليه بملك، أو أُلهم في قلبه، أو نبه بالرؤيا الصالحة." [٤]

ثانياً: الرسول لغة:

الرسول في اللغة: هو المُرْسَل الذي أمره المرسل بأداء الرسالة بالتسليم أو بالقبض، وهي للواحد وللجمع قال تعالى: ﴿**إِنَّا رَسُول رب الْعَالمين**﴾.[٥]

---

[١] انظر: القاموس المحيط – ص٥٣.

[٢] كتاب تهذيب اللغة – ج١٥ – ص٣٤٩.

[٣] المصدر السابق.

[٤] كتاب التعريفات – ص٢٣٩.

[٥] انظر: التعريفات – ص١١٠، المعجم الوسيط – ص٣٤٤.

والرسول: اسم من أرسلت وكذلك الرسالة. وأرسلت فلانا في رسالة، فهو مرسل ورسول. ويقال: جاءت الإبل أرسالا إذا جاء منها رسل بعد رسل. وسمي الرسول رسولاً؛ لأنه ذو رسول أي ذو رسالة. [1]

ثالثاً: النبي اصطلاحاً:

النبي هو الذي أوحي إليه بشرع من قبله وأمر بتبليغه، دون أن ينزل عليه كتاب.[2]

"فالأنبياء ينبئهم الله؛ فيُخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره. وهم يُنبئون المؤمنين بما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر، والنهي". [3]

وقد اشتهر القول بأن النبي هو الذي أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وهذا لا يكون معقولاً، فكيف يوحى للنبي ولا يؤمر بالتبليغ !! وفي نفس الوقت أمرنا نحن المسلمين أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وما فائدة الوحي عند ذلك؛ بل يقول -سبحانه وتعالى- ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...**﴾ فالآية تدلل على أن الأنبياء والمرسلين قد أرسلهم الله سبحانه سواء، فكيف لله أن يرسل نبي على قوم دون الأمر بتبليغ؟!. [4]

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [سورة البقرة: ١٥٩]. فلو كتم العلم من تعلمه وأوتي شيئاً من الهدى توعده الله، فكيف بالنبي يوحي الله إليه ولا يبلغ ؟!

---

[1] انظر: لسان العرب – ج١١ – ص٢٨٤.

[2] انظر: شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية – محمد بن صالح بن العثيمين – دار الوطن للنشر، الرياض – ط١ – ١٤٢٦ هـ – ص٥٢٧.

[3] النبوات – شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية – ت: عبد العزيز بن صالح الطويان – أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية – ط١ – ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م – ج٢ – ص٧١٧.

[4] انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي) – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) – ت: علي عبد الباري عطية– دار الكتب العلمية – بيروت– ط١ – ١٤١٥ هـ – ج٩ – ص١٦٥.

وبجمع المعاني الثلاثة للنبي في اللغة يتبين أنَّ النبي: هو مُخْبِرٌ عن الله –سبحانه وتعالى– ما يكون به المُخْبَر على طريق الهدى إن اتبَّع الخبر، وهو بما يحمل من خَبِرٍ رفيع القدر، وبما فُضِّل بحمل الخَبَر رفيع المكانة.

رابعاً: الرسول في الاصطلاح:

الرسول: هو رجل ذكر بالغ أرسل بشرع جديد لأمة من الأمم كسائر الرسل أو للناس كافة كخاتمهم محمد– صلى الله عليه وسلم–، وأنزل عليه مع الرسالة كتاباً جديداً. [1]

وهذا الملاحظ في الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم وموسى وعيسى– عليهم السلام– كل منهم أرسل بكتاب فقد أُرسل النبي – صلى الله عليه وسلم– للناس كافة وأَنزل الله عليه القرآن العظيم وعلى إبراهيم– عليه السلام– الصحف وعلى– موسى عليه– السلام التوراة والصحف، وعلى عيسى– عليه السلام– الإنجيل

قال الكلبي والفراء– رحمهما الله: " كل رسول نبي، من غير عكس". [2]

---

[1] انظر: تفسير الألوسي – ج٩ – ص١٦٥، انظر: شرح العقيدة الواسطية – ص٥٢.

[2] التعريفات – ص١١٠.

المطلب الثاني: الأنبياء في سورة سبأ.

إنَّ الله –سبحانه وتعالى– أرسل في كل أمة رسولاً يدعوهم لتوحيد الله –سبحانه– وعبادته والاستقامة على أمره، مبشرين ومنذرين، ودلت السورة على هذه السنة الإلهية بإرسال الأنبياء والرسل للأمم السابقة لأمة نبينا محمد– صلى الله عليه وسلم– في قوله –تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾ [سورة سبأ: ٣٤].

وتظهر في موضع آخر من هذه السورة دلالة واضحة على إرسال الرسل للأمم بقوله –تعالى: ﴿**وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾ [سورة سبأ:٤٥].

وذكر في السورة نبي الله داود –عليه السلام– في معرض ذكر ما تفضل الله به –سبحانه وتعالى– عليه وعلى آله.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [سورة سبأ: ١٠،١١].

وتبع داود –عليه السلام– ذِكر سليمان –عليه السلام– أيضاً بما تفضل الله به عليه في قوله –تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ**﴾ [سورة سبأ:١٢،١٣]، وفي ذكر موته وكيف أنَّ فيه اثبات على جهل الجن بالغيب، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ**﴾ [سورة سبأ: ١٤].

فنبوتهما –عليهما السلام– لا خلاف فيها.[1] وهي ثابتة في الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا داود زَبُورًا﴾ [سورة النساء:١٦٣]، والآيات الدالة على نبوته –عليه السلام– وما فضله الله به على غيره كثيرة.[2]

وما يدلل على نبوة داود –عليه السلام– ما صرح به النبي –صلى الله عليه وسلم– لما حدَّث عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– عن قوة يجدها في الصيام فقال له بعد أن شدد عبد الله–رضي الله عنه– على نفسه: "فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ –عليه السلام، وَلاَ تَزِدْ عَلَيْهِ"[3].

ودلالة السنة على نبوة سليمان –عليه السلام– ما جاء في الحديث عن أبي هريرة –رضي الله عنه : أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً، فَقَالَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي فَلْتَحْمِلْنَ كُلُّ امْرَأَةٍ، وَلْتَلِدْنَ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ، فَمَا وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَلَدَتْ شِقَّ غُلاَمٍ "، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَثْنَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ، فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[4].

---

[1] انظر: محاسن التأويل – محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) – ت: محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلميه – بيروت– ط١ – ١٤١٨ هـ– ج٨ – ص٢٥١.

[2] انظر: تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر – ط١ – ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م – ج٥ – ص٥٦.

[3] رواه البخاري في صحيحه – كتاب الصوم– باب حق الجسم في الصوم – ح (١٩٧٥) – ج٣ – ص٣٩.

[4] رواه البخاري في صحيحه – كتاب التوحيد – باب في المشيئة والإرادة: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ – ح (٧٤٦٩) – ج٩ – ص١٣٨.

المطلب الثالث: ذكر النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- في سورة سبأ.

أولاً: دلالة سورة سبأ على رسالته -عليه الصلاة السلام- وشمولها:

في السورة ما يكفي للدلالة على نبوته وأن رسالته- صلى الله عليه وسلم- شاملة للناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ:٢٨].

وهذا دليل على رسالته- صلى الله عليه وسلم- في نفسها، وكذلك شموليتها من حيث عموم الناس، تكفّ عنهم الكفر والشرك والجهل، تبشرهم بما أُرسلت به من خيري الدنيا والآخرة.[١]

قال قتادة ومجاهد- رحمهما الله: " أرسل محمد- صلى الله عليه وسلم- إلى الناس كافة العرب والعجم منهم"[٢].

وجاء في الحديث عن جابر بن عبد الله أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً " [٣]

ولما كانت رسالة النبي- صلى الله عليه وسلم- شاملة للناس كافة، ورسائل الرسل والأنبياء من قبله لأمم بعينهم، كان يتعين أن تكون هذه الرسالة ختام الرسالات التي سبقتها، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ،

---

[١] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن – ج٢٠ – ص٤٠٥، أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج٤ – ص٢٤٧.

[٢] الدر المنثور – ج٦ – ص٧٠٢.

[٣] رواه البخاري في صحيحه – كتاب الصلاة – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا – ح (٤٣٨) – ج١ – ص٩٥.

فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ "[1]

ثانياً: دلالة سورة سبأ على نبوته- صلى الله عليه وسلم- من الكتب السابقة:

وقد ثبتت رسالة النبي- صلى الله عليه وسلم- في الكتب السابقة، ومنها التوراة، فقد كان كفار قريش يراجعون أهل الكتاب ويحتجون بأقوالهم ليعترضوا على النبي- صلى الله عليه وسلم- فلما قال أهل الكتاب لكفار قريش أنهم يجدون صفة النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- في كتابهم، ما أعجبهم ذلك، حيث زاد ذلك النبي- صلى الله عليه وسلم- صدقه صدقاً، فقالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سورة سبأ:٣١]، أي لن نؤمن بهذا القرآن وما فيه من التوحيد والنبوة والبعث، ولا بالذي جاء بين يديه من كتب كالتوراة والإنجيل، فكفروا بالجميع لكي لا تقام عليهم.[2]

وفي قوله -تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سورة سبأ:٤٤]، دلالة على أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- قد بشَّر بنبوته من سبقه من أنبياء ومرسلين، فيخبرهم -سبحانه- أنه ما أنزل عليهم كتباً أو رسلاً من قبلك فيعلمون أن ما جئت به من عند الله هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد. [3]

فأنى لهم أن يعرفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم نبياً أم لا؛ لأنه لم يرسل إليهم من قَبْلِ النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ نَذير، ولو أُرسِل إليهم رسول أو نبي لعلموا حقاً أن النبي – صلى الله عليه وسلَّم- نبياً لِمَا يتركه عادةً الأنبياء من دلالات على النبي الذي سيأتي آخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم، أو حتى لكان عندهم علم بصفات الأنبياء كما علم النجاشي.

---

[1] رواه مسلم في صحيحه – كتاب الفضائل – باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين – ح (٢٢٨٦) – ج٤ – ص١٧٩١.

[2] انظر: تفسير القرطبي – ١٤ – ص٣٠٢، التحرير والتنوير- ج٢٢ – ص٢٠٢، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٥١.

[3] انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور- ج٦ – ص٧٠٩.

في ذكر ما نقل من بشارات المسيح بمحمد– صلى الله عليه وسلم– عقَّب شيخ الإسلام– رحمه الله– بقوله:" وهذا اللفظ، لفظ الفارقليط، في لغتهم ذكروا فيه أقوالاً قيل: إنه الحماد، وقيل: إنه الحامد، وقيل: إنه المعز، وقيل: إنه الحمد، ورجح هذا طائفة ; وقالوا: الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم أنه الحمد، والدليل عليه قول يوشع: " من عمل حسنة تكون له فارقليط جيدا – أي حمدا جيدا – وقولهم المشهور في تخاطبهم: فارقليط، وفارقليطان، وما زاد على الجميع – أي حمد – "[1]

وجاء هذا التعقيب بعد أنْ نقل نصاً من الإنجيل: "وقال يوحنا: قال المسيح: من يحبني يحفظ كلمتي، وأبي يحبه، وإليه يأتي، وعنده يتخذ المنزل، كلمتكم بهذا؛ لأني عندكم مقيم، والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي، هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلت لكم استودعتكم سلامي، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع، فإني منطلق وعائد إليكم، لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون بمضيي إلى الأب، فإن أنتم ثبتم في كلامي وثبت كلامي فيكم كان لكم كل ما تريدون، وبهذا يمجد أبي وقال – أيضا –: " إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله، روح الحق الذي من أبي، هو يشهد لي، قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنوا به ولا تشكوا فيه ".[2]

<u>ثالثاً: دلالة سورة سبأ على نبوته صلى الله عليه وسلم من قرارة نفوس المشركين:</u>

وأشار لهم –سبحانه– في قوله: ﴿**ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ [سورة سبأ:٤٦]، أنهم لو حكموا عقولهم وتفكروا في النبي– صلى الله عليه وسلم– لعلموا يقيناً أنه ما جاء إلا بالحق من الله، فقد شهدوا له بالعقل، والصدق، والأمانة.[3]

وقد قال –سبحانه: ﴿**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**﴾ [سورة المؤمنون:٧٠] فهو دلالة على أنَّ أهل قريش يعلمون النبي– صلى الله عليه وسلم– وصدقه وأمانته ورجاحة عقله، حتى سموه الصادق الأمين قبل بعثته وبعدها، وكذلك رضوا بحكمه– صلى الله عليه وسلم–

---

[1] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح– ج٥ – ص٢٨٧.

[2] السابق – ج٥ – ص٢٨٥.

[3] انظر: في ظلال القرآن – ج٥ – ص٢٩١٤.

حينما حكم بين قبائل قريش في وضع الحجر الأسود مكانه، وعرفوا بذلك أنه يستحال أن يكون كاذباً أو ساحراً أو مجنوناً. [1]

بل كانوا يقرون بهذا الدين الذي جاء به في قرارة أنفسهم ودليل ذلك ما رواه صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: " كان أُبي بن خلف يَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ عِنْدِي الْعَوْدَ ; فَرَسًا أَعْلِفُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذُرَةٍ، أَقْتُلُكَ عَلَيْهِ. فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ وَقَدْ خَدَشَهُ فِي عُنُقِهِ خَدْشًا غَيْرَ كَبِيرٍ، فَاحْتَقَنَ الدَّمُ، فَقَالَ: قَتَلَنِي وَاللَّهِ مُحَمَّدٌ. فَقَالُوا لَهُ: ذَهَبَ وَاللَّهِ فُؤَادُكَ، وَاللَّهِ إِنَّ بِكَ بَأْسٌ. قَالَ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ قَالَ لِي بِمَكَّةَ: أَنَا أَقْتُلُكَ. فَوَاللَّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي. فَمَاتَ عَدُوُّ اللَّهِ بِسَرِفٍ وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ." [2]

وإن قولهم ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَـذَا الْقُـرْآنِ وَلَا بِـالَّذِى بَـيْنَ يَدَيْـهِ**﴾ [سورة سبأ:٣١]، ما هو إلا عنادٌ وإصرارٌ على رفض إتباع الهدى، ففي ذلك تبديل لدين الآباء والأجداد فقالوا: ﴿**مَا هَـذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُـدَّكُمْ عَمَّـا كَانَ يَعْبُـدُ آبَـاؤُكُمْ**﴾ [سورة سبأ:٤٣]، فالذي دعاهم صدقاً إلى الكفر هو عنادهم فلا يتركون دين آبائهم واتباع النبي– صلى الله عليه وسلم– وقولهم: "لن نؤمن" دليل على أنَّ الدلائل مهما بلغت قوتها وموافقتها لما جاءت عليه الرسالات السابقة فلن يؤمنوا. [3]

رابعاً: دلالة سورة سبأ على نبوته عليه الصلاة والسلام بذكر صفات أتباع الأنبياء:

ومما يدلل على نبوته– صلى الله عليه وسلم– قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾ [سورة سبأ:٣٤].

---

[1] انظر: السيرة النبوية لابن هشام – عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) – ت: طه عبد الرءوف سعد – شركة الطباعة الفنية المتحدة – ١٨٢.

[2] سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) – محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ) – ت: سهيل زكار – دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م – ص٣٣١.

[3] في ظلال القرآن – ج٥ – ص٢٩٠٨.

فإنه من دلالة النبوة أن يكفر المترفون والسادة ويستكبرون ويؤمن ضعفاء الناس بالأنبياء ويتبعون الهدى والصراط المستقيم.[١]

وكان يعلم هرقل ملك الروم أنَّ الأنبياء يتبعهم ضعاف الناس ويقاتله أشرافهم فقد جاء في حديث أبي سفيان –رضي الله عنه– مع هرقل ملك الروم حيث كان هرقل كتابياً، وذكر أبوسفيان– رضي الله عنه– مما سأله هرقل عنه: "فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم"، ثم سأل: " فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم"[٢]، فهذا هرقل الكتابي كان على علم بأن اتباع ضعفاء الناس للنبي –صلى الله عليه وسلم– ومحاربة مترفيهم له هي من علامات النبوة ودلالاتها فقد قال في الحديث السابق معقباً على الإجابات عن تلك الأسئلة التي سألها أبا سفيان– رضي الله عنه: "فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين".[٣]

---

[١] انظر: ابن كثير – ج٦ – ص٥٢١.

[٢] رواه البخاري في صحيحه – باب بدء الوحي– ح (٧) – ج١ – ص٩.

[٣] الحديث السابق.

المطلب الرابع: تفاضل الأنبياء في سورة سبأ.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة:٢٥٣]

فتفاوت الأنبياء –عليهم السلام– في ما فضله الله –سبحانه وتعالى– فيما بينهم ثابت في الكتاب والسنة، ونستعرض شيئاً من هذا التفضيل كما ورد في السورة:

أولاً: في ذكر ما تفضل الله به على داود –عليه السلام– في سورة سبأ:

إنَّ مما يفضل الله به عباده الأنبياء أن يفضلهم على كثير من خلقه ويصطفيهم له رسلاً وأنبياءً، وقد نال داود –عليه السلام– هذا الفضل من الله.

وبعد أن مدح الله عباده المتفكرين بأنهم منيبين في قوله –تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة سبأ:٩] أتبعه ذكر عباده المنيبين فقال –سبحانه وتعالى–: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا داود مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سورة سبأ:١٠]، ولفظ الإيتاء يدلل على عظم ما آتى الله داود بخلاف الإعطاء وزاد في تعظيم هذا الفضل الذي أوتيه داود –عليه السلام– أن ينسب هذا الفضل لله –سبحانه وتعالى– بقوله ﴿مِنَّا﴾ بعد أن كان نسبه في البداية لنفسه بقوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾. [١]

وفضله الله –سبحانه وتعالى– على غيره من الأنبياء بأن سخر معه الطير والجبال يُسبحن مع تسبيحه، فإذا تلى الزبور أجابته الجبال والطير ورجعت معه. [٢]

وكذلك جعل له –سبحانه وتعالى– الحديد ليناً كما العجين يشكله كيف يشاء، فيصنع منه الدروع، من دون الحاجة لطرقه أو إذابته بالنار، قاله قتادة. [٣]

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب ج٢٥ – ص١٩٦، ج٣٢ – ص٣١٢، غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري – ج٥ – ص٤٨٦.

[٢] انظر: معاني القرآن – ج٥ – ص٣٩٥.

[٣] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن– ج٣٠ – ص٣٥٩.

وهذا شيء مما فضل الله به داود –عليه السلام–، وقد ذكر ابن العربي– رحمه الله– صاحب أحكام القرآن أربعة عشرة خصيصة تفضَّل الله بها على داود –عليه السلام– وهي: النبوة، الزبور، حسن الصوت والوجه، تسخير الجبال والناس، التوبة، الزيادة في العمر، الطير، الوفاء بما وعد، حسن الخلق، الحكم بالعدل، تيسير العبادة، العلم، القوة، ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل: ١٦]. [١]

ثانياً: في ذكر ما تفضل الله به على سليمان –عليه السلام– في سورة سبأ:

كما فضَّل الله داود –عليه السلام– على كثير من خلقه أن آتاه النبوة، تفضَّل الله– تبارك وتعالى– على المنيب الآخر سليمان –عليه السلام– بالنبوة كذلك.

ومما ذكرته السورة فيما فضلَّ الله –سبحانه وتعالى– سليمان –عليه السلام–، ما جاء في قوله –تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة سبأ:١٢].

فيسر له الله الريح تحمله للمسير والحركة بسرعة لم تكن معهودة، وقال صاحب البداية والنهاية إنه كان له بساط مركب من الخشب يحمل عليه ما يشاء من إنس وجن وحاجيات وقصور فتحمله الريح وتنقله أينما شاء. [٢]

---

[١] انظر: أحكام القرآن لابن العربي– ج٤ – ص٤.

[٢] انظر: البداية والنهاية – ابن كثير – ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي – دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – ط١ – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م – سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م – ج٢ – ص٣٤٤.

قال الحسن البصري– رحمه الله– عن نبي الله سليمان– عليه السلام: "كان يغدو من دمشق، فينزل بإصطخر[١] فيتغدى بها، ويذهب رائحا منها فيبيت بكابل، وبين دمشق وبين إصطخر مسيرة شهر، وبين إصطخر وكابل مسيرة شهر"[٢].

ومن معجزاته– عليه السلام– إسالة عين القطر، أي عين من نحاس، يخرج النحاس من الأرض مثلما يخرج الماء من العين.[٣]

وسخر –سبحانه وتعالى– الجن يعملون بين يدي سليمان –عليه السلام– فلا يزيغ عن أمره أحد ولا يتوقف عن العمل أحد، كلهم بين يديه طائعون مجبورون، يعملون له ما شاء فيبنون له القصور والمساجد والجفانَ كالجواب (الحوض الذي يجبى فيه الماء) وقدوراً ضخمة لا تتحرك من مكانها لضخامتها.[٤]

ثالثاً: دلالة تفضيل الله النبيَّ– صلى الله عليه وسلم– في سورة سبأ:

وقد فضل الله نبينا محمداً– صلى الله عليه وسلم– على سائر الخلق ومنهم الأنبياء، بما خصَّه الله به.

ومما فضَّل الله به نبينا– صلى الله عليه وسلم– أنْ أرسله تعالى للناس كافة بشيراً ونذيراً فقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة سبأ:٢٨]، ولما كان قد أرسل– صلى الله عليه وسلم– للناس كافة بشرع جديد، كان ناسخاً لما

---

[١] اصطخر: مدينة من اقدم مدن فارس واشهرها وبها كان يكون ملك فارس حتّى حوّل اردشير الملك الى جور. المسالك والممالك – أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ) – دار صادر– بيروت – ٢٠٠٤م – ص١٢٣.

[٢] المصدر السابق.

[٣] انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري– ج٥ – ص٤٨٧.

[٤] انظر: تفسير ابن كثير – ج٦ – ص٤٩٩، التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٦٣.

قبله من الشرائع، فلا يستقيم أن يكون رسولاً للناس كافة وأن تبقى الشرائع السابقة في أهلها، وهو مع أنه رسول للناس كافة، كذلك هو رسول للثقلين للإنس والجن. [1]

ودلالة بعثه للإنس والجن ما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ " [2]

ومنهج السورة لتقرير نبوته- صلى الله عليه وسلم-، وما فضله الله به على غيره من الأنبياء، حافل بآيات معجزة، وكلمات منجزة، نقضت الكفر والشرك وأثبتت التوحيد والنبوات، وسارت ليوم البعث عقلاً ونقلاً لِتُقرَّهُ خير إقرار، نعم إنها سورة سبأ سورة من الكتاب العظيم القرآن الكريم معجزة النبي الأمين، تحدى الله به القريب والبعيد، فهو معجز والباطل لا يأتيه، ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [سورة هود: ١].

والدلالة على تفضيله- صلى الله عليه وسلم- على من سبقه من الأنبياء، إخبار أهل الكتاب بأنه نبي أخبر به من سبقه من الأنبياء، فما ذُكرت صفاته- صلى الله عليه وسلم- لأحد ممن سبقه من أهل الكتاب، إلا صدَّق به وبما جاء. [3]

---

[1] انظر: تفسير ابن عرفة – محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ) – ت: جلال الأسيوطي – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ج٣ – ص٣٢٠.

[2] رواه مسلم في صحيحه – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا – ح (٥٢١) ج١ – ص٣٧٠.

[3] انظر: ابن كثير – ج٦ – ص٥٢١.

المطلب الخامس: منهج سورة سبأ في إثبات أن الرسل لم يأتوا بما تحيله العقول.

قال ابن القيم – رحمه الله:

"الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته؛ بل إخبارهم قسمان، أحدهما ما تشهد به العقول والفطر، والآخر مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلا وكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين إما يكون الخبر كذباً عليهم وإما يكون ذلك العقل فاسداً قال تعالى ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ:٦] ". [1]

وإنَّ منهج السورة في تقرير التوحيد والبعث والنبوة، يُرْجِعُ الناس لإعمال عقلوهم متفكرين، قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ:٦]، أي أنَّ الذين أوتوا العلم – وهم أرجح الناس عقلاً بما أوتوه من علم– ليعلمون أنَّ ما أنزل على النبي– صلى الله عليه وسلم– من علم لهو الحق، وأن فيما جاء به لهو خير سبيل للوصول إلى صراط العزيز الحميد.

وفي السورة مواضع عديدة يأمر الله نبيه بمخاطبة المشركين، وعرض الأدلة العقلية والآيات الكونية والأخبار التي أوحى بها إلى الأمم السابقة عليهم ليتفكروا بها؛ لعلهم يصلون إلى ذات الطريق الذي وصل إليه الذين أوتوا العلم.

والسورة في نهايتها تدعو المشركين للتفكر والاستبصار، ومراجعة أنفسهم في خلواتهم؛ حتى يتفكروا بما عرض عليهم من أدلة وبراهين في تقرير هذه العقيدة السليمة، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا

---

[1] الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة – ابن قيم الجوزية– دار الكتب العلمية – بيروت – ص٦٢.

نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة سبأ:٤٦]، وهذه الدعوة للتفكر تدلل على أنَّ كل ما ورد فيها يقبله العقل ويستسيغه؛ لكن هل من متفكر !!.

ومهما اتخذت الأخبار التي جاءت بها الرسل من شكل لا تقدر الأذهان على تصوره، فإن ذلك لا يعني بطلان الخبر، فإن تحدثت عن: الليونة التي اتخذها الحديد كالعجين المبلول دون طرق أو نار لتشكيل الأسياف والدروع المتينة، أو الطيور والجبال التي تسبح مع داود على الدوام فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة سبأ:١٠، ١١].

أو تلك الريح التي حملت سليمان وأعانته في التنقل والحركة وحمل الأشياء، أو الجن التي صارت تبني له المحاريب والتماثيل والجفان ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ:١٢، ١٣].

فذلك كله استكبره العقل؛ لأنه ما اعتاد عليه، وإلا فإن حمل السماوات أعظم من حمل الريح سليمان، ونبع الماء من الأرض كنبع النحاس، وهكذا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحج:٦٥].

فأذكر نظرة الانبهار التي نظرت فيها لأول هاتف محمول يعمل بخاصية اللمس، وكيف يتم نقل المعلومات من هاتف لآخر بالسحب بأصبع من أصابع اليد !؛ لكن اليوم بعد معرفة سر هذه التكنولوجيا صار الأمر عادياً لا يجذب الانتباه حتى.

ولعظيم صنع الله الذي خلق هذا العقل البشري أعظم من أي شيء، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ

ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَـيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَمَـا خَلْفَهُـمْ وَلَا يُحِيطُـونَ بِشَـيْءٍ مِـنْ عِلْمِـهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِـيُّهُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَـئُـودُهُ حِفْظُهُمَـا وَهُـوَ الْعَـلِيُّ الْعَظِـيمُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

المبحث الثاني :

اتهامات المشركين للرسول - صلى الله عليه وسلم - في سورة سبأ.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : اتهامات المشركين للنبي - صلى الله عليه وسلم - في سورة سبأ.

المطلب الثاني : منهج سورة سبأ في الرد على المستهزئين والمكذبين للنبي -صلى الله عليه وسلم -.

المبحث الثاني:

اتهامات المشركين للرسول – صلى الله عليه وسلم– في سورة سبأ.

لإثبات نبوته– صلى الله عليه وسلم– ونفي الاتهامات التي وجهها المشركون للنبي– صلى الله عليه وسلم– اتخذت السورة طريقاً واضحاً تعرض فيه افتراءات المشركين وترد عليها الآيات التالية بإثبات ما يضادها، فمرة بالحوار، ومرة بالرد والتغليظ عليهم.

فالمشركون اعتمدوا على ادعاءات وافتراءات لا دليل عليها في تكذيب النبي– صلى الله عليه وسلم– فتارة يصفونه بالكذب والافتراء، ومرة بالجنون، وأخرى بالسحر، ومرة يبررون تكذيبهم له وإعراضهم عن رسالته بأنه يصدهم عن دينهم الذي كان عليه آباؤهم.

المطلب الأول: اتهامات المشركين للنبي– صلى الله عليه وسلم– في سورة سبأ.

أولاً: ادعاؤهم الكذب والجنون على النبي– صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ۗ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ**﴾ [سورة سبأ:٧، ٨].

فبعد أن عرضوا مستهزئين تعجبهم من رجل يدعي أنَّ الناس بعد فنائهم وبلاء أجسادهم وتناثرها أنهم سيعودون خلقاً جديداً ثم يبعثون، ثم يزيدون في استهزائهم بعد أن يظنوا استحالة ذلك، أنَّ هذا الكلام ما هو إلا صادر من كاذب أو مجنون.

فعن هذه الآية قال قتادة– رحمه الله: " قالوا تكذيباً: ﴿**أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾ قال: قالوا: إما أن يكون يكذب على الله ﴿**أَمْ بِهِ جِنَّةٌ**﴾ وإما أن يكون مجنونًا." [1]

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن – ج٢٠ – ص٣٥٤.

وقال ابن زيد–رحمه الله: " ثم قال بعضهم لبعض ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ الرجل مجنون فيتكلم بما لا يعقل." [1]

ثانياً: السحر وافتراء القرآن ليصدهم عن ما كان يعبد آباؤهم:

وجاء في السورة اتهام المشركين للنبي– صلى الله عليه وسلم– بأنه مفترٍ لهذا القرآن، فقالوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى...﴾ [سورة سبأ:٤٣].

فيقولون بصيغة التنكير ما هذا إلا رجل يريد أن يغير دين آبائكم ويصدكم عنه، وما هذا الذي أتى به محمد إلا كذب مفترى من كذبه حتى يفرق فيه بيننا ودين آبائنا، وزادوا في اتهامه– صلى الله عليه وسلم– بالادعاء بأنه ساحر فهو ساحر يفرق بين الأبناء والآباء بتغير ذاك الدين الذي كان عليه آباؤهم والتفريق عمل السحرة: ﴿..وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة سبأ:٤٣]، فتارة يقولون مفترٍ وتارة أخرى يقولون ساحر. [2]

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن – ج٢٠ – ص٣٥٤.

[2] انظر: تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٣١٠.

المطلب الثاني: منهج سورة سبأ في الرد على المستهزئين والمكذبين للنبي.

اتخذت السورة في الرد على هذه الادعاءات أساليب متنوعة، ترد بها على المشركين، وتقرر نبوته– صلى الله عليه وسلم– وصدق رسالته، وتثبيت ما عرف عليه من أمانته، وتتوزع الردود بين ردود قاسية، وأخرى حوارية تحمل في طياتها رداً مقنعاً؛ بل وفي بعض الأحيان مفحماً.

أولاً: رد الاستهزاء بإثبات سبب الاستهزاء ثم الوعيد:

لما قال المشركون ﴿**هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ...**﴾ [سورة سبأ:٧، ٨] أتبع الله رداً عليهم بما يتناسب مع أسلوبهم واتهامهم للنبي– صلى الله عليه وسلم– فقال تعالى راداً عليهم: ﴿**... بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ**﴾ [سورة سبأ:٨].

أي إنَّ هؤلاء الذين لا يؤمنون بما أتيت به من البعث بعد الموت هم الكاذبون فالبعث واقع لا محالة، وهم في العذاب والضلال البعيد بما قالوا أم به جنة، فيعرفون عند ذلك أنهم كانوا في جنون وضلال لما ما سمعوا ولا أطاعوا النبي– صلى الله عليه وسلم. [1]

وفي قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [سورة سبأ:٤٧] أي إن الله شهيد ليس بي جنون وأنا لكم نذير مبين.

ثانياً: إثبات صدق النبي– صلى الله عليه وسلم– بالتفكر بما أحاط بهم:

ثم تأتي السورة لتزيدهم عظة، وتقرر صدق الرسالة المحمدية ﴿**أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [سورة سبأ:٩] ألم ينظر هؤلاء المكذبون إلى السماء والأرض كيف أحاطت بهم؟ لأنك إن نظرت عن يمينك أو شمالك، أو بين يديك أو خلفك رأيت

---

[1] انظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) – محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) – ت: د. مجدي باسلوم – دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – ط١ – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م – ج٨ – ص٤٢٨، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٣ – ١٤٠٧ هـ – ج٣ – ص٥٦٩.

السماء والأرض وهذا تذكير لهم بقدرة الله –تعالى– عليهم وإحاطتها بهم؛ لأنهم لا يرون لأوليتهما ابتداء ولا لآخرتهما انتهاء، وإن بعدوا شرقاً وغرباً. [1]

وفيها شكل آخر من أشكال الإنذار والتحذير، فيكون رد الله عليهم بقوله تعالى أفلم يروا إلى ما بين أيديهم أي إلى من تقدم من الأمم الغابرة، وإلى ما خلفهم وما سيأتي خلفهم من يوم القيامة الذي سيحشرون إلى ربهم فيه، وتتبع السورة بعدها بذكر ما كان من أمر أهل سبأ، وكيف حلَّ بهم بعد أن كفروا الرسل وأشركوا به، أزال عنهم الجنان، وأذهب بالأمان في بلادهم، وقطع الأوصال. [2]

فكان منهج السورة في الرد الأول عليهم بإثبات الضد لهم من أنَّ الكذب هو تكذيب الرسل الذي وقعوا فيه، والضلال والجنون هو الذي وقعوا فيه من عدم الإيمان بما يفضي إليه العقل وهو اليوم الآخر، وعدم الاتعاظ بما حل بمن سبق من المكذبين.

ثالثاً: ردت السورة افتراءهم بتجريدهم من العلم السابق، ومعرفة علامات النبوة:

ومن رد السورة على ادعائهم بأن القرآن مفترى على الله من محمد– صلى الله عليه وسلم، وأن هذا الحق من أمر النبوة سحر، جاء الرد: ﴿**وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ**﴾ [سورة سبأ:٤٤]، فما آتينا هؤلاء الذين كذبوا بالنبوة من كتب يعرفون من خلالها أن هذا الذي يدعو إليه النبي– صلى الله عليه وسلم– كذب، ولا أرسلنا إليهم من قبله رسلاً. [3]

فتظهر السورة أنَّ ادعاءَهم بكذب الرسالة من غير دليل ولا مبرر، ثم تُتْبِع هذا الرد مثل ما أتبعت به الرد الأول من تحذير وإنذار، بأن هؤلاء القوم – قريش – ما آتاهم الله معشار ما

---

[1] انظر: تفسير الماوردي – ج٤ – ص٤٣٤، بتصرف.

[2] انظر: المرجع السابق.

[3] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن – ج١٩ – ص٣٠١،، تفسير الماتريدي – ج٨ – ص٤٥٨.

آتى من قبلهم من الأمم من نعيم وقوة وبراهين، فلما كذب أؤلائك بالرسالات والأنبياء كان من الله عليهم العقاب الشديد، إنكاراً لما كفروا وكذبوا. [١]

رابعاً:رد دعواهم بأنه كاذب مفترٍ بما كانوا يعرفونه ويصفونه به حين مبعثه:

وتذكرهم السورة بما كانوا يرون في هذا النبي؛ بل بما كانوا يصفونه من صفات الصدق والأمانة، فتذكرهم " **مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ** "، هذا الرجل الذي كان بينكم موصوفاً بالصدق والأمانة، ما اعتدتم عليه كذبة، ولم تشهدوا في عقله ضلالة.

فقد أقروا بذلك يوم مبعثه –عليه الصلاة والسلام– عندما صعد على ربوة لينذر عشيرته الأقربين في حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– أن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال لهم: " أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟" قَالُوا: " نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا "[٢].

فكانوا يقرون بصدقه– صلى الله عليه وسلم– الذي اعتادوا أن يصفوه به فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَفُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذابٍ شَدِيدٍ**﴾ [سورة سبأ:٤٦]، فهي دعوةٌ لهم بأنْ يقوموا مثنى أو فرادى فيتفكروا كيف نصف محمداً بالكذب والجنون وقد كنا قبل ذلك نصفه بالصادق الأمين؟!،وإن كنتم فرادى في خلوة أنفسكم تتفكرون، فستصلون قطعاً إلى النتيجة التي تخالف ما اتهمتم بها النبي– صلى الله عليه سلم.[٣]

فتدلل على صدق الرسالة من باب تذكيرهم بحالهم في سابق عهدهم مع النبي– صلى الله عليه وسلم– وكيف كانوا يصفونه بالصادق الأمين.

---

[١] انظر: مفاتيح المغيب ج٢٥ – ص٢١٣، جامع البيان في تأويل القرآن – ج٢٠ – ص٣٥٤.

[٢] رواه البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن – باب ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ – ح (٤٧٧٠) – ج٦ – ص١١١.

[٣] انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لبيهقي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٠٥ هـ – ج١ – ص١٢، جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج١٩ – ص٣٠٤، جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج١٣ – ص٣١١.

خامساً: دحض ادعائهم بأنه ساحر بنفي صفاة السحرة وما يبتغونه من سحرهم:

وفي قوله تعالى ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة سبأ:٤٧] استقصاء لما بقي من شبه التكذيب لدحضها، فباتهامهم له أنه شاعر لزم دعواهم أنه يبتغي بذلك ما يتناوله الشاعر من عرض الدنيا وزينتها، وما طلب النبي شيئاً من ذلك، وإن كان ساحراً فينبغي أن يطلب بذلك ما يحصل عليه الساحر من ثمن وما طلب شيئاً– صلى الله عليه وسلم– من ذلك، و قطعاً لكل الشبه والظنون التي قد ترد على عقولهم من أنه يريد بذلك عرضاً، حيث قد راودتهم تلك الظنون فقد روي أنهم قد عرضوا عليه الجاه والمال والنساء مقابل تركه دعوته عليه الصلاة والسلام، فقد نفى أن يكون أراد شيءً من ذلك، وتهكماً بهم وزيادة في إفحامهم أخبرهم أنه إن كنت قد طلبت منكم شيئاً من عرض الدنيا فهو لكم مبارك عليكم. [1]

فكيف لرجل ساحر أو مجنون أو كاذب يتحمل كل هذا الأذى ودون مقابل؛ بل يتبرأ من أي أجر دنيوي ؟.

فاتخذت السورة أساليب حوارية مع القوة في الرد، والتحذير والوعيد من الاستمرار في الضلال والكفر.

سادساً: نفي كذبه بالإفصاح عن إخلاصه لدعوة الله:

في نهاية الحوار يأتي الأمر للمتهم بالكذب على الله: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سورة سبأ:٥٠]، فينسب كل ما ذكر من التوحيد والنبوة وأمر البعث، أنه في الحقيقة من عند الله، فإن كنت ضالاً فذلك الضلال على نفسي، وإن كنت مهتدياً – وأنا على ذلك – فبما نزل علي من الله من الهداية، والله سميع لنا ولكم، وقريب يأتيكم من غير تأخير. [2]

---

[1] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص٢٣٥، مفاتيح المغيب – ج٢٥ – ص٢١٥، في ظلال القرآن – ج٥ – ص٢٩١٥.

[2] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص٢١٧، التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص٢٣٩.

سابعاً: تنكير اتهاماتهم وطعونهم:

بعد أن ظهرت الأدلة وانتهى الاستدلال أثبتت الآيات أن هذا الذي ادَّعوه في نفسه ليس له شيءٌ مسندٌ عليه من واقع حالهم أو حتى ماضيهم، فقد وصف الله فعلهم بقوله:﴿**وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾ [سورة سبأ:٥٣]، فهم يقذفون بما يجهلون باتهامات لا تتعدى الظن، وأنَّ ما رموا به النبي- صلى الله عليه وسلم- إنما هو بهتانٌ وافتراء. [١]

ثامناً: الرد بذكر حال المكذبين بالرسل:

مع ما تقدمت به السورة من ردود تورد السورة قصتي آل داوود -عليه السلام- وأهل سبأ تسلية للنبي- صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾ [سورة سبأ:٣٤]، فتكذيب الرسل ليس أمراً مستحدثاً، فهي عادة المترفين مع أنبيائهم، وهي سنة الرسل من قبلك، فقد غمست الدنيا المترفين في متاعها فأعمت قلوبهم فلا يضرك ما يقولون فالأنبياء من قبلك كذَّب بهم بعض أقوامهم. [٢]

تاسعاً: إثبات صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- بإثبات تنزيل القرآن عليه:

إنَّ مما تدلل به السورة على صدق نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- ما دلت عليه من إثبات أنَّ القرآن من عند الله منزل، وأنه من النقص منزه، ودلالة القرآن على ذلك سنذكرها في المبحث الرابع: منهج السورة في التقرير بأن القرآن من عند الله والرد على الطاعنين -إن شاء الله. [٣]

---

[١] انظر: تفسير الماوردي – ج٤ – ص٤٦٠، أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج٤ – ص٢٥٢، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٦٢.

[٢] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص٢١١، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٥٣، أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج٤ – ص٢٤٨، مفاتيح المغيب – ج٢٥ – ص٢٥٩.

[٣] انظر: هذا البحث ص١٢٦.

عاشراً: حوار المشركين في إثبات نبوته- صلى الله عليه وسلم- ورد ما رموه به:

وفي إثبات صدق النبي- صلى الله عليه وسلم- اتخذت السورة الحوار منهجاً، لتوصلهم إلى ترك ما هم عليه من تكذيب للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- وقذف الاتهامات الباطلة، وسارت السورة في حوار المشركين من بدايتها حتى نهايتها، بأسلوب إعجازي يدلل على صدق المحاور في نبوته وبطلان كل اتهام وقول يخالف، وحاورت السورة على لسان النبي -صلى الله عليه وسلم- المشركين في إثبات محاور السورة الرئيسة: التوحيد، النبوة، البعث.

قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سورة سبأ:٢٢]

فحملت الآية رسالات بين أحرفها تعجز فيها المشركين وتبطل فيها الشركاء مع الله، أولاً ادعوهم إن كانوا موجودين أن ينعموا عليكم كما أنعم الله على عبديه داوود وسليمان -عليهما السلام- فهي لا تملك لمن عبدها مهما صغر حجمه من السماء أو الأرض أو منهما، وليس لهم ملك مشاعاً ولا مقسوماً على سبيل الشركة، وليس لهم من دون الله من معين على خلق شيء ولا ظهير، ولا واسطة أو شفاعة؛ بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد له. [1]

فهذا التحدي جاء بعد أن عرضت السورة عظيم إنعام الله على عباده واستحقاقه للشكر من عباده وكيف أن الذي يكفر ولا ينيب ينتقم الله به، فهنا تحد على أن تفعل هذه الآلهة شيء من قبيل ذلك فلا هي تنفع عابديها كما كان النفع لداوود وسليمان -عليهما السلام- ولا قادرة على إهلاك مُسخطيها.

ولما كانت حجة المشركين أنهم يعبدون هذه الآلهة لتكون شفيعة لهم عند الله كما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [سورة الزمر:٢٢]، استوجب نفي الشفاعة لأي مخلوق إلا من أذن الله -سبحانه- له، ولا يأذن الله إلا للمؤمنين به المستحقين لرحمته، فأما الذين يشركون به ليسوا أهلا لأن يأذن الله بالشفاعة فيهم، لا من الملائكة ولا من المأذونين بالشفاعة(٢) حتى

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن ج٢٠ – ص٣٩٤، ابن كثير ج٦ ص٥١٣.

[2] انظر: في ظلال القرآن ج٥ – ص٢٩٠٤.

الأنبياء كما قال –سبحانه– لنوح في ابنه:﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة هود:٤٦]، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٣].

وإن ما أثبتته السورة هو إثباتاً لصدق النبي – صلى الله عليه وسلم– في دعوته.

المبحث الثالث:

منهج سورة سبأ في تقرير الشفاعة لمن أذن له.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشفاعة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الشفاعة التي نفتها سورة سبأ.

المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في إثبات الشفاعة.

المبحث الثالث:

منهج سورة سبأ في تقرير الشفاعة لمن أذن له.

المطلب الأول: الشفاعة لغة واصطلاحاً:

أولاً: الشفاعة في اللغة:

"الشفاعة من شَفَع، وشَفَع لِي يَشْفَعُ شَفاعةً وتَشَفَّعَ: طَلب. والشَّفِيعُ: الشَّافِعُ، وَالْجَمْعُ شُفَعاء، واسْتَشْفَعَ بفُلان عَلَى فُلَانٍ وتَشَفَّع لَهُ إليه فشَفَّعَه فِيهِ." [١]

والشفاعة "مشتقة من الزيادة؛ لأن الشَّفِيعَ يضم المَبيع إِلَى مِلْكِهِ فَيَشْفَعُهُ بِهِ، كأَنَّه كَانَ وَاحِدًا وِتْرا فَصَارَ زَوْجا شَفْعاً. والشَّافِعُ هُوَ الجاعلُ الوِتْر شَفْعاً." [٢]

وقيل الشفاعة: " هي الانضمام إلى آخر ناصراً له، وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في القيامة." [٣]

وقيل هي: "التجاوز عن الذنوب والجرائم". [٤]

ثانياً: الشفاعة في الاصطلاح:

قال شيخ الإسلام بن تيمية– رحمه الله: " الشفاعة هي لأهل الإخلاص بإذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون إلا بإذن الله. وحقيقته أن الله هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أُذن له أن يشفع ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون صلى الله عليه وسلم كما كان في الدنيا يستسقي لهم ويدعو لهم، وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته"[٥]

---

[١] لسان العرب – ج٨ – ص١٨٤.

[٢] النهاية غريب الحديث والأثر – ج٢ – ص٤٨٥.

[٣] تاج العروس من جواهر القاموس ج٢١ – ص٢٨٧.

[٤] المرجع السابق.

[٥] الإيمان لابن تيمية– ص٦٧.

فهي فضل من الله جلَّ في علاه على من يشاء من عباده المخلصين من الأنبياء والرسل وغيرهم من عامة العباد الصالحين؛ إكراماً منه سبحانه لا إلزاماً فهي لا تكون إلا لمن أَذن الله له وما شاء الله أن يقع، فيدعو العبد ربَّه بما شاء فيستجيب الله له إن شاء جزاءً له على صلاحه وإخلاصه.

"هي ما يتفضل به الله على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه وينال المقام المحمود."[1]

[1] التوحيد – محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) – ت: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره – جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية – ص٥٢ بتصرف.

المطلب الثاني: الشفاعة التي نفتها سورة سبأ.

لما كان المشركون يتخذون مع الله آلهة، كان يدعي بعضهم أنهم ما اتخذوا الأصنام التي صوروها على هيئة ملائكة آلهة إلا ليكونوا لهم شفعاء فيقربوهم من الله سبحانه، ويزيدونهم من فضله، فهذه الشفاعة التي يطلبون هي نوع من أنواع شرك العبادة التي لا يغتفر لصحابها.[1]

كما فعل قوم نوع باتخاذهم العباد الصالحين وداً وسواع ويغوث ويعوق ونسراً آلهةً يعبدونهم ليلبوا حاجاتهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٣]

فجاءت السورة لتنفي هذا النوع من أنواع الشفاعة فليس لأحد أن يَشْفَع لأحد عند الله من أصنام ومعبودات، ولا لأحدٍ أنْ يُشَفَّعَ له إلا من أراد الله، فلو ثبتت الشفاعة لملك أو نبي أو عبد، فإنه يَشفع لمن أذَن له الله أن يشفع فيه. [2]

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: " فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن"[3].

---

[1] انظر: مفاتيح المغيب – ج٢٥ – ص ٢٠٣، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٤١، التوحيد – ص٥٢.

[2] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج١٩ – ص٢٧٤.

[3] الإيمان لابن تيمية – ص٦٧.

المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في إثبات الشفاعة.

وفي تقرير العقيدة الإسلامية تقرر السورة خلال حوار المشركين لإثبات التوحيد والنبوة والبعث الشفاعة يوم القيامة لمن يأذن الله له.

أولاً: إثبات أن الشفاعة بيد الله بنفيها عن من سواه.

فبعد أن نفى –سبحانه وتعالى– نوعاً من أنواع الشرك وهو شفاعة الأصنام والمعبودين من دون الله –سبحانه– أثبت ما يقابله مما هو من كمال رحمته، بأن جعل شفعاء من خلقه أَذِنَ لهم أن يشفعوا لمن شاء من عباده. [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله. ولم يبق إلا الشفاعة. فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب"[2].

قال تعالى: ﴿**وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ [سورة سبأ:٢٣]، فأثبت بعد النفي –سبحانه– أنَّ هنالك شفاعة مشروطة بإذنه –سبحانه وتعالى–، وهي التي أخبر عنها النبي– صلى الله عليه وسلم– في غير حديث فقد قال– صلى الله عليه وسلم– في الحديث الذي رواه أبو هريرة– رضي الله هنه– عند سؤال الناس الأنبياء الشفاعة فقال –عليه الصلاة والسلام– بعد أن ينتهي له الناس يطلبون شفاعته:

" فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَه، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي

---

[1] انظر: في ظلال القرآن – ج٥ – ص ٢٩٠٤.

[2] التوحيد – ص٥١.

نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ – أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى – "[1].

ومما يجب أنْ يُعلم أنَّ الشفاعة تطلب من الأنبياء يوم القيامة لا في الدنيا، فلا يصح الوقوف عند قبور الأنبياء أو الصالحين أو الشهداء ليطلب منهم الشفاعة، فذلك عين الشرك الذي تحدثنا عنه، فلا يصح دعاء أحد سوى الله –سبحانه وتعالى– فقد قال: ﴿**وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ [سورة سبأ:٢٣]، وذكرنا أنَّه لا يَشْفَعَ شَفِيع، ولا يُشَفَّع مَشْفُوع إلا لمن أذن له الله بالشفاعة. [2]

ويجب ألا يكون المشفوع من أهل الشرك؛ بل من أهل الإخلاص والتوحيد، حتى يأذن الله له أن يكون من المشفوع لهم، وتقع الشفاعة للعصاة منهم – أهل التوحيد –، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "فتلك الشفاعة هي لأهل الإخلاص بإذن الله وليست لمن أشرك بالله، ولا تكون إلا بإذن الله"[3].

وقال شيخ الاسلام – رحمه الله – في حقيقة الشفاعة:

"وحقيقته أن الله هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع محمد –صلى الله عليه وسلم– الذي أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون– صلى الله عليه وسلم– كما كان في الدنيا يستسقي لهم ويدعو لهم، وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته"[4].

---

[1] رواه البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن – باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ – ح (٤٧١٢) – ج٦ – ص٨٤.

[2] انظر: درء تعارض العقل والنقل – ابن تيمية– ج٥ – ص١٤٩.

[3] الإيمان لابن تيمية – ص٦٧.

[4] المصدر السابق.

ثانياً: إثبات الشفاعة بإثبات التوحيد:

فإنَّه إذا ثبت التوحيد لله ونفي عن من سواه كما أثبتناه في الفصل الأول، فإن المالك لكل شيء لهو المتصرف فيه وفق مشيئته، فيقبل شفاعة من يشاء لمن يشاء ؛ فهو المتصرف في ملكه –سبحانه.

المبحث الرابع:

منهج سورة سبأ في التقرير بأن القرآن من عند الله والرد على الطاعنين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الطعون الموجهة للقرآن في سورة سبأ.

المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في الرد على الطعون الموجهة للقرآن.

المبحث الرابع:

منهج سورة سبأ في التقرير بأن القرآن من عند الله والرد على الطاعنين.

وكما اهتمت السورة في إقرار التوحيد ونفي الشرك، وإثبات النبوة والرد على من طعن فيها، تستمر في إثبات أن القرآن وحي منزل على النبي– صلى الله عليه وسلم– والرد على من شك فيه أو رماه بكذب أو إفك.

المطلب الأول: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف القرآن لغة:

من قَرَأَ يَقْرَأُ قَرْءاً وقِراءَةً وقُرآناً، فَهُوَ مَقْرُوءٌ. والقُرآن الْجَمْعِ، وكلُّ شَيْءٍ جَمعْتَه فَقَدْ قَرَأْتَه، وَسُمِّيَ القرآن قُرْآناً؛ لأَنه يَجْمَعُ الآيات والسُّوَر، وما فيه من القصَص، والأَمْر وَالنَّهْيَ، والوْعد وَالْوَعِيدَ، فيَضُمُّها. وَهُوَ مَصْدَرٌ كالغُفْران والكُفْران. [1]

وقيل: " وفي قوله –تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [سورة القيامة:١٧]، أَي جَمْعَه وقِراءَته، فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أَي قِراءَتَهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– فإِذا بيَّنَّاه لَكَ بالقراءَة، فاعْمَلْ بِمَا بَيَّنَّاه لَكَ."[2]

"ذهب بعض النَّاس إِلَى أَن الْقُرْآن هُوَ اسْم علم غير مُشْتَقّ خَاص بِكَلَام الله، فَهُوَ غير مَهْمُوز."[3]

---

[1] انظر: لسان العرب – ج١ – ص١٢٨، النهاية في غريب الحديث والأثر – ج٤ – ص٣٠.

[2] لسان العرب – ج١ – ص١٢٨.

[3] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية – أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) – ت: عدنان درويش – محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت – ص٧٢٠، انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم – ج٢ – ص١٣٠٦.

وروي عن الشافعي –رحمه الله– كان يقول:" القُران اسْمٌ، وَلَيْسَ بِمَهْمُوزٍ، وَلَمْ يُؤْخذ مِنْ قَرأْت، ولكنَّه اسْمٌ لِكِتَابِ اللَّهِ مِثْلُ التَّوْرَاةِ والإنجيل، ويَهمز قرأْت وَلَا يَهمز القرانَ، كَمَا تَقُولُ إِذَا قَرَأْتُ القُرانَ". [1]

ثانياً: القرآن اصطلاحاً:

عرفه الطحاوي– رحمه الله: " إن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله –صلى الله عليه وسلم– وحيا، ليس بمخلوق ككلام البرية "[2].

عرفه شيخ الإسلام– رحمه الله: " القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود؛ وأن الله تعالى تكلم به حقيقة أنزله على محمد– صلى الله عليه وسلم "[3].

عرفه مناع القطان–رحمه الله: " كلام الله، المنزل على محمد– صلى الله عليه وسلم– المتعبد بتلاوته "[4]

---

[1] لسان العرب – ج١ – ص١٢٩.

[2] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي – ص١٧٢ بتصرف.

[3] مجموع الفتاوى – ج٣ – ص١٤٤، بتصرف.

[4] مباحث في علوم القرآن – مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – ط٣ – ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م – ص١٧.

المطلب الثاني: الطعون الموجهة للقرآن في سورة سبأ:

أولاً: دعواهم أن القرآن من افتراء النبي محمد- صلى الله عليه وسلم:

أطلق المشركون اتهامات عديدة طاعنين في القرآن الكريم، وما ذلك إلا ضعفٌ منهم في محاربتهم لهذا الدين المتين، فكفروا بما جاء به من عقيدة وإيمان، ثم صاروا يطعنون في ما جاء به من الغيب كالبعث وغيره، ولما وجدوا النبي- صلى الله عليه وسلم- يردهم بما يوحي إليه ربه من القرآن والحكمة صاروا يطعنون في القرآن وفي من أوحي إليه به، وطعنوا في القرآن بأشكال مختلفة، وفي مرات عديدة، ورموه باتهامات كثيرة، لعلهم يضعفون هيبته من نفوسهم، وهم في قرارة صدورهم يعلمون أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنَّ هذا الدين هو الحق من ربهم.

تعجب المشركون مما بلغ إليه النبي- صلى الله عليه وسلم- بما أوحي إليه من ربه بأن البعث حق، وأنَّ الناس سيخرجون من الأجداث سراعاً إلى نصب يوفضون، فقالوا كيف ذلك وما كانوا قد سمعوا به من قبل، وزاد تعجبهم هذا إنكاراً لدعوة النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- وما بلغ به عن ربه من الوحي، فدعوا أنَّ ما هذا الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم- من قول إلا إفكٌ وكذب، أو هو قد جُنَّ ليخبرنا قولاً مثل هذا، ظانين بذلك أنَّ القرآن كلامه- صلى الله عليه وسلم- منكرين رسالته، فقالوا: ﴿**أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ**﴾ [سورة سبأ:٨].

ثانياً: دعواهم أن القرآن يتعارض مع العقل والواقع:

بعد أن ذكرت السورة أنَّ الساعة آتية وبيَّنت علة قيام الساعة في ردها على قول المشركين: ﴿**لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ**﴾ وهي ﴿**لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ**﴾ [سورة سبأ:٤، ٥] ليجزي الله المؤمن على شكره وإيمانه، ويعاقب المشرك على كفره وإشراكه، وقد ادعى المشركون تعارض الساعة مع العقل، فكيف لإنسان قد توفي ودفن وبلي، حتى صارت عظامه كالرميم، كيف له أن يعود مخلوقاً مرة أخرى من عدم؟ كيف تعود تلك العظام الباليات؟ وذلك الجلد الذي أكلته الديدان! كيف بنا إذا متنا

ومزقنا كلَّ ممزق أن نعود في خلقٍ جديد: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة سبأ:٨]، فذلك اتهام للقرآن بأنه يحمل ما يتعارض مع العقول، وأن ما فيه من اعتقادات يخالف ما جبلت عليه العقول، ولا تعدو شبهاتهم الإنكارَ الاستعظامَ والاستبعادَ إذ ليس لهم دليل يُعتد به.

ثالثاً: ادعاؤهم أنَّ في هذا القرآن سحراً جاء به ساحر.

ويعاود الكفار بطرح طعن آخر في القرآن كلما ضعفت حجتهم وغلبت دعواهم، قال- تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة سبأ:٤٣] بأنه كذب مختلق من محمد- صلى الله عليه وسلم- ليسحر الناس ويلبس عليهم دينهم، ويبدل دين آبائهم الذي كانوا عليه، فيفرق بيننا وبين دين الآباء وما التفريق إلا عمل السحرة، ويحتمل في قولهم " إن هذا إلا سحر مبين" أنهم يقصدون القرآن.[1]

[1] تفسير القرطبي- ج١٤ – ص٣١٠. بتصرف

المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في الرد على الطعون الموجهة للقرآن.

أولاً: اثبات أن القرآن منزل من الله.

ذُكِر في تعريف القرآن أنَّه منزل على النبي –محمد صلى الله عليه وسلم– وذلك باتفاق أهل العلم، وهذا الاتفاق بين علماء السلف والخلف قد أرجعته السورة إلى زمن سادة علماء الأمة وأئمتها وقادتها الصحابة –رضوان الله عليهم– فقد علموا ذلك يقيناً أنه منزل على نبينا محمد– صلى الله عليه وسلم– أوحى الله إليه به، فقد قال تعالى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَـقَّ وَيَهْـدِى إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيـزِ الْحَمِيـدِ**﴾ [سورة سبأ:٦]، فالقرآن منزل من الله – سبحانه– على نبينا محمد– صلى الله عليه وسلم. [١]

وإنَّ معرفتهم للقرآن بأنه منزل ليس فقط بما جاء من إخبار النبي– صلى الله عليه وسلم– إنما رأوا ذلك بعيونهم واسترشدوا إليه بعقولهم فقد قال– تعالى– في وصف إداركهم بأنَّ القرآن منزل:(ويرى)، فرؤيتهم القرآن أنه الحق كانت مبنية على ما أشرفوا على الوصول إليه كون القرآن منزلاً بأنفسهم لا إخباراً لهم. [٢]

ونسب النبي– صلى الله عليه وسلم– الهداية له لما يوحى إليه من ربه، في معرض حوار المشركين، يثبت أنَّ ما يحمل من هداية وما حصل عليها إنما هي وحي من الله –سبحانه وتعالى– إليه، فكيف لكاذب مفترٍ أنْ ينسب هذا الكتاب المعجز وما فيه من إبداع ونظم، إلى غيره، بل يتجرد فيقول لا أملك لنفسي منه شيئاً إلا بإذن الله؛ بل إن هذا القرآن صِدْقٌ أُوحيَ به إلى صادق.

ومما يثبت صدق القرآن ويدلل على أنَّه منزل من عند الله– جلَّ وعلا، ما فيه من إعجاز في آياته يُرد به على كل منكر ومشرك وكافر وملحد، فيضرب به كل من اعترض هذه الرسالة المحمدية؛ ليكون المدافع الأول عن صدق النبوة، والمعجزة الكبرى، فذلك قوله –تعالى: ﴿**قُـلْ إِنَّ**

---

[١] انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن قيم الجوزية – ت: محمد عبد السلام إبراهيم – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١١هـ – ١٩٩١م – ج١ – ص١٢.

[٢] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٤٥.

رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۞ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سورة سبأ:٤٨، ٤٩]، قال قتادة: " يقذف بالحق يبين الحجة ويظهرها بالوحي، وجاء الحق أي جاء القرآن ".[١]

وقرارة نفوسهم تظهرها السورة من علمهم أنَّ النبي– صلى الله عليه وسلم– صادق فيما يخبر وهذا الذي عهدتموه عليه، وتدلل بصدق النبي على صدق قوله في أن القرآن كلام الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة سبأ:٤٦]، فعودوا إلى رشدكم وتذكروا صدقه –عليه الصلاة والسلام– وأن هذا القرآن الذي حمله لصادق.

ثانياً: إثبات أنَّ القرآن لا يتعارض مع العقل:

تدلل الآيات في السورة أن هذا الكتاب أقر بما فيه من حق ذووا الأبصار وأولوا الألباب وأصحاب العقول، قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ:٦]، استدلوا على صدقه بما رأوه يقيناً أنه الحق وأنَّ هذا الحق مصدره الإله سبحانه، وأنَّ ما جاء فيه مصدقاً لما خلقت به العقول وجبلت عليه الفطر السليمة، فكان الإدراك العقلي بمثابة الرؤية الحقيقة ليكون ذلك عين اليقين.

ويرون أنه يهدي– هذا القرآن– إلى صراط العزيز الحميد وذلك أنهم جزموا بصدق ما أخبر به من وجوه كثيرة: من جهة علمهم بصدق من أخبر به، ومن جهة موافقته للأمور الواقعة في حياتهم، وموافقته لما جاءت به الكتب السابقة، ومن جهة ما يشاهدون من الأخبار التي تقع عيانا، ومن جهة ما يشاهدون من الآيات العظيمة في الآفاق وفي أنفسهم الدالة على صدقها، ومن جهة موافقتها لما دلت عليه أسماؤه تعالى وأوصافه. [٢]

فتوصل بذلك أصحاب العقول إلى صدق القرآن، ومما أوصلهم أيضاً إلى الإيمان بالقرآن أنه من الله منزل، وسلامته من التعارض مع العقل والواقع مما رأوه في الأوامر والنواهي التي تهدي إلى الصراط المستقيم، المتضمن الأمر بكل صفة تزكي النفس، وتنمي الأجر، وتعلي

---

[١] جامع البيان في تأويل القرآن – ج٢٠ – ص٤٢٠، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٦٢، الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٦ – ص٧١١.

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – ص ٦٧٥، بتصرف.

المقام، كالصدق والإخلاص وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى عموم الخلق والجار، ونحو ذلك. وتنهى عن كل صفة قبيحة، تدنس النفس، وتحبط الأجر، وتوجب الإثم والوزر، من الشرك، والزنا، والربا، والظلم في الدماء والأموال، والأعراض.[1]

ثم إنَّ الكتاب الذي يحمل في طياته تعارضاً مع العقول، يدعو قارئه إلى التسليم له وما جاء فيه دون أن يدعوه إلى التدبر والتفكر، وإلا فقد أرشدهم إلى طريق النظر في بطلانه، والقول بكذب إرساله.

ولكنَّ السورة دعت قارئها ومن أنزلت فيهم الآيات للتفكر والتدبر والاستبصار بما في هذا الكون، فإنَّ ذلك لدليل عظيم على صدق ما جاء به القرآن الكريم.

فقد قال العليم: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة سبأ:٩]، أما نظروا إلى هذه الأرض وما فوقها من السماوات وما فيهما، ألم يتدبروا ما فيهما من خلق وتصوير وحياة، وأنَّ خالق هذه الأكوان قادر على أن يخسف بها على من سخط وأشرك وكفر ؟!، وأنَّ في خلقها لعبرة وآية يتذكر بها كل من أقبل على الله صادقاً يبحث عن الإنابة والتوبة.

وتكرر السورة دعوة المكذبين بالتفكر بما حملته السورة من عقيدة وقد قال العلي: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة سبأ:٤٦]، فتفكروا واستذكروا كيف كنتم تقولون عن هذا النبي –صلى الله عليه وسلم– وهل يصدر ممن شهدتم له بالصدق عنه أن يحدث بالكذب، وبالذي كنتم تؤمنونه على أموالكم بالخيانة، تفكروا، والجواب عندكم.

فكيف لمضطرب في نفسه، المعارض للواقع، أن يدعو خصومه في التفكر في ما فيه، إلا إن كان خالياً من الخلل ومنزهاً عن العيب، كاملاً بلا نقص.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – ص ٦٧٥، بتصرف..

وإنَّ المتوهم بأنَّ القرآن متناقض مع العقل، يُتَّهم في عقله، فهو جاهل قاصر الفهم صغير العقل إن كان لديه عقل.

وفي ذلك قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: " فمن أوتي العلم رأى أن ما أنزل إليه من ربه هو الحق، وأما من كان عنده ما يظنه علماً – وهو جهل – فذلك يرى الأمر على خلاف ما هو عليه، مثل من زاغ فأزاغ الله قلبه، وكان في قلبه مرض، فزاده الله مرضاً، وممن يقلب الله أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، ومن الصم البكم العمي الذين لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهدى، أو لم يكونوا يعقلون بحال، وأمثال هؤلاء قال تعالى فيهم: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [سورة الأنعام:٣٩]." [1]

وإنَّ ما أوردته السورة من مواضع عديدة في حوار المشركين تدعوهم فيه إلى ترك ما هم فيه من ضلالة واتباع الهداية لكافٍ لإثبات أنَّ هذا الكتاب جاء بالحق، لا يعارض العقل؛ بل يدعو الناس لاتباع الرسالة المحمدية بما يقتضيها العقل.

ثالثاً: إثبات براءة القرآن من السحر:

آيات التفكر التي ذكرناها في إثبات أنَّ القرآن لا يتعارض مع العقل، لهي دليل أيضاً على خلو القرآن من السحر، فالساحر يستغفل أعين الناس إن أراد أن يسحر، أو يأتيهم على حين غفلة دون أن ينبههم.

وإنَّ السورة دعت للتفكر في غير موضع:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ**﴾ [سورة سبأ:٩].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [سورة سبأ:١٩].

وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ**﴾ [سورة سبأ:٤٦].

---

[1] درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية – ج٧ – ص٤٠.

ومنهج السورة في رد الطعن بأن القرآن سحر يكون بتذكير المشركين بأمرهم، فهم ليسوا في موضع تحديد أهذا القرآن إفك مفترى أم هو قول سحار أو غيره، فما أنزل الله عليهم كتابه، ليعلموا أهو فعلاً من الله منزل وهو كلامه، أم أنه كلام ساحر يسحر الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ۞ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سورة سبأ:٤٤، ٤٥]

رابعاً: إثبات نزول القرآن على النبي- صلى الله عليه وسلم- بإخباره أخبار الأمم السابقة:

بذكر ما ورد في السورة من أخبار الأمم السابقة، لدلالة واضحة على أنَّ هذا القرآن من عند عالم للغيب، لا يخفى عليه شيء، وليس ذلك لمحمد- صلى الله عليه وسلم- فهو بشري لا يعلم الغيب ولم يخالط من أهل الكتاب خلقاً، وأيضاً ما تعلم في المدارس وعلى أيدي الرهبان من شيء، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:٤٤].

فكانت هذه الأخبار من ذكر داوود وسليمان -عليهما السلام- وما آتاهما الله من معجزات، وما كان من أمر سليمان -عليه السلام- حين توفاه الله مع الجن وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سورة سبأ:١٠-١٤].

ومنها ما كان لقوم سبأ مِن نعيم مَنَّ الله به عليهم، وكيف بدَّل -سبحانه- حالهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ

بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سورة سبأ:١٥-١٩].

ومن ذكر أنَّ الكفر بالأنبياء هو دين المترفين في كل زمان فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة سبأ:٣٤]، وكيف يعلمه النبي- صلى الله عليه وسلم- فينظمه أبياتاً إن كان شاعراً أو يؤلفه في كتابه المفترى إن كان كاتباً، وهو- صلى الله عليه وسلم- من قريش التي لم يرسل الله لهم من قبلهم نبياً ولا رسولاً.

ودليل ذلك ما قاله هرقل في حديثه لأبي سفيان -رضي الله عنه- بعد أن كان قد سأله إن كان شرفاء الناس (المترفون) اتبعوه أم الضعفاء: " وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ" [1]، فأهل الكتاب -وكان منهم ملك الروم- يعلمون أن أتباع الأنبياء هم ضعفاء الناس، أما المترفون فينصبون لهم العداء.

خامساً: إثبات تصديق أهل الكتاب لما جاء به القرآن:

ممَّا يدلل على أنَّ هذا القرآن منزل من الله، ما شهد به أهل الكتاب، وشهادة الخصم هي أقوى الشهادات، ودلت السورة أنَّ أهل الكتاب أقروا بما في هذا الكتاب من أخبار وأنه حق وصدق.

قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ:٦]، وذكر بعض المفسرين أنَّ أهل العلم المراد

[1] رواه البخاري في صحيحه – كتاب الإيمان – باب بدء الوحي- ح (٧) – ج١ – ص٩.

بهم في السورة أهل الكتاب، فقد كانوا يشهدون بأنَّ هذا القرآن حق، فقد جاءهم خبره في كتبهم، قاله مقاتل والضحاك- رحمهما الله. [1]

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة سبأ: ٣١]

ذكر القرطبي- رحمه الله: "إن أهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا فسلوه، فلما سألوه فوافق ما قال أهل الكتاب قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي أنزل قبله من التوراة والإنجيل؛ بل نكفر بالجميع، وكانوا قبل ذلك يراجعون أهل الكتاب ويحتجون بقولهم "[2]

وهنا ننتهي من استعراض الأدلة الدامغة على بطلان دعوى المشركين حول نبوة نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- وما أثاروا من شبهات حول رسالته وصدقه -عليه السلام- والقرآن العظيم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة سبأ:٤٨].

---

[1] انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٦ – ص٦٧٤، التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٤٥.

[2] تفسير القرطبي- ج١٤ – ص٣٠٢، انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري – ج٥ – ص٤٩٨.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

منهج سورة سبأ في تقرير الغيبيات

ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج سورة سبأ في تقرير البعث والرد على المنكرين.

المبحث الثاني: منهج سورة سبأ في تقرير عقيدة القضاء والقدر.

المبحث الثالث: منهج سورة سبأ في إثبات الجزاء للمؤمنين والعقاب للظالمين.

المبحث الأول:

منهج سورة سبأ في تقرير البعث والرد على المنكرين..

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الساعة والبعث.

المطلب الثاني: إنكار المشركين قيام الساعة والبعث في سورة سبأ.

المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في إثبات الساعة والرد على المنكرين.

المبحث الأول:

منهج سورة سبأ في تقرير البعث والرد على المنكرين..

إنَّ من حكمة الله –سبحانه وتعالى– أن جعل يوماً يبعث فيه الناس وإليه يحشرون، فيفصل فيه بين الناس،فيجزي المؤمن على توحيده وشكره،ويحاسب المشرك على شركه وكفره. ويجزي العادل على عدله، والمحسن على إحسانه، ويؤاخذ الظالم على ظلمه، والمفسد على فساده، والفاجر على فسقه وعصيانه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۞ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سورة سبأ: ٣–٥].

وروي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ"[١]

المطلب الأول: تعريف الساعة والبعث:

أولاً: الساعة في اللغة:

الساعةُ وأصلها (سوع) وهي الوقتُ الحاضرُ، والجمع الساع والساعاتُ، والساعَةُ: القيامةُ.[٢]

---

[١] رواه مسلم: صحيح مسلم – كتاب صفة القيامة والجنة والنار– باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة– ح (٢٧٩٠) ص٢١٥٠.

[٢] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) – ت: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – ط٤ – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م – ج٣ – ص١٢٣٣، بتصرف.

السَّاعةُ: جُزْءٍ من اللَّيْل وَالنَّهَار، وَالْجمع ساعاتٌ وساعٌ، وَقَوله تَعَالَى **(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المجْرِمُون)** يَعْنِي: السَّاعة الَّتِي تقوم فِيهَا الْقِيَامَة.

وساوَعَه مُساوَعَةً وسِوَاعا: اسْتَأْجرهُ للسَّاعَةِ أَو عَامله بهَا، والساعة: الْقِيَامَة، وَقَالَ الزّجاج: السَّاعَة اسْم للْوَقْت الَّذِي يصعق فِيهِ الْعباد، وللوقت الَّذِي يبعثون فِيهِ وَتقوم فِيهِ الْقِيَامَة، وكل ذكر الساعة في القرآن يراد بها الوقت الذي تقوم فيه القيامة.[١]

ثانياً: الساعة في الاصطلاح:

قال ابن عثيمين –رحمه الله: " الساعة هي القيامة، وأطلق عليها لفظ الساعة؛ لأن كل شيء عظيم من الدواهي له ساعة; يعني: الساعة المعهودة التي تذهل الناس وتحيق بهم وتغشاهم حين تقوم، وذلك عند النفخ في الصور". [٢]

وجاء في السُّنَّة أشراط (الساعة): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا"[٣]

ولها أسماء بَلَغت الثمانين كما ذكرها ابن حجر–رحمه الله– ومن أشهرها: القيامة، الحاقة، الآخرة، الواقعة، الغاشية، يوم الفصل.[٤]

---

[١] المحكم والمحيط الأعظم – أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) – ت: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م – ج٢ – ٣٠٥، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر – ج٢ – ص٤٢٢، لسان العرب – ج٨ – ص١٦٩.

[٢] القول المفيد على كتاب التوحيد ج٢ – ص٤٢٢، وانظر: السابق.

[٣] رواه البخاري: صحيح البخاري – كتاب العلم – باب رفع العلم وظهور الجهل – ح (٨٠) ص٢٧.

[٤] انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ – رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي – قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب – عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز – ج١١ – ص٣٩٦.

ثالثاً: البعث في اللغة:

بعث: بَعَثَهُ يَبْعَثُه بَعْثاً: أَرْسَلَهُ وَحْدَه، وبَعَثَ بِهِ: أَرسله مَعَ غَيْرِهِ. وابْتَعَثَه أَيضاً أَي أَرسله فانْبعَثَ. [١]

بعث: البَعْثُ: الإرسالُ، كبعث الله من في القبور. وَبَعَثْتُ البعيرَ أرسلتُه وحللت عِقالُه، أو كان باركاً فَهِجْتُهُ، وبعثته من نومه فانبعث، أي: نبّهته. ويومُ البَعْثِ: يومُ القيامة. [٢]

رابعاً: البعث اصطلاحاً:

البعث: " هو أن يحيى الله –عز وجل– كل المخلوقات مذ خلق الله –عز وجل– الحيوان إلى انقضاء الأجل، ورد أرواحهم التي كانت بأعيانها، وجمعهم في موقف واحد ليحاسبهم".[٣]

وهو أن يبعث الله الموتى ويجمع ما تحلل من أجزاء الأجساد التي كانت في الدنيا فيعيدها مع الأرواح كما كانت فيحييهم، ثم يرسلهم إلى المحشر للحساب قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى**﴾ [سورة الروم: ٢٧]. [٤]

وقال القرطبي– رحمه الله– في تفسير قوله تعالى ﴿**فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾: "فإذا الأموات من أهل الأرض والسماء أحياء بعثوا من قبورهم، وأعيدت إليهم أبدانهم وأرواحهم، فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون"[٥].

---

[١] لسان العرب – ج٢ – ص١١٦ .

[٢] العين – ج٢ – ص١١٢ .

[٣] الفصل في الملل والأهواء والنحل – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) – مكتبة الخانجي – القاهرة – ج٤ – ص٦٦، بتصرف.

[٤] انظر: شرح العقيدة الواسطية للهرّاس– ص١٠٨.

[٥] تفسير القرطبي – ج١٥ – ص٢٨١.

المطلب الثاني: إنكار المشركين قيام الساعة والبعث في سورة سبأ:

إن الداعي الأول للمشركين إنكارهم للساعة هو من إنكارهم للبعث وظنهم باستحالته، فلما عجزوا عن التفكر في خلق الله –سبحانه– وكيف أنشأ الخلق أول مرة، وقصرت معرفتهم بربهم –سبحانه وتعالى– وجهلوا ما مغزى هذه الحياة سعو في ذلك لإنكار اليوم الآخر، وتكذيب ما جاءت به الرسل من أمرها.

وقد أنكر المشركون في السورة الساعة والبعث، متخذين في ذلك ذرائع وأسباباً تتركز حول عدم تصورهم لإمكانية إعادة الحياة بعد الموت، وغيرها مما يشبه عليهم.

أولاً: إنكار المشركين للبعث ظناً باستحالة إعادة الحياة بعد الموت:

بعد أن ذكر النبي– صلى الله عليه وسلم– للمشركين أنهم سيبعثون ويحاسبون في يومٍ لا بد منه، أنكروا ذلك اليوم مستهزئين وقالوا: لا تأتينا الساعة، وروي ذلك عن أبي سفيان–رضي الله عنه– قبل إسلامه أنه قال: إن محمداً – صلى الله عليه وسلم– يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت، ويخوفنا بالبعث، واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبدا، ولا نبعث.[1]

فقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [سورة سبأ: ٣].

وفي سورة النحل يذكر –تعالى– خبر هؤلاء المشركين المقسمين بأنهم لن يبعثوا مرة أخرى، قال تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة النحل: ٣٨].

ومن ذلك قولهم: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾ [سورة الإسراء: ٤٩].

---

[1] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان – أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ) – ت: عبد الله محمود شحاته – دار إحياء التراث – بيروت – ط١ – ١٤٢٣ هـ – ج٣ – ص٥٢٣، تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٦٠، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥١٨.

وزادوا إنكارهم البعثَ وأنهم سيُحيَون مرة أخرى بعد الفناء مستصحبين معه الاستهزاء بمن أخبر بالبعث- صلى الله عليه وسلم- فقالوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيد ۞ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ۗ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سورة سبأ: ٧، ٨].

ومما قالوه من إنكارهم للبعث واستهزائهم بالقول به: ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٨٢، ٨٣].

وقال بعض الجاهلين منشداً:

حياة ثم موت ثم نشر... حديثُ خرافةٍ يا أم عمرو! [١]

وباستفسار المنكر المستهزئ عن الساعة التي سيبعث الناس لها قالوا: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة سبأ: ٢٩]..

ثانياً: ظنَّ المشركون أن لو بعثهم ربهم سيجدون خيراً في الآخرة كما في الدنيا:

مما جعل أهل الشرك ينكرون البعث، ما ورد في قوله –تعالى– إخباراً عنهم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سورة سبأ: ٣٥]، فكيف سنُعذب وقَد أنعم الله علينا في الدنيا ما أنعم؛ بل إن صرنا إلى ما يزعمون أنه كائن من البعث نجد نعيماً كما وجدنا في الدنيا، فالنعيم عندهم من عافية ورزق إشارة إلى –رضى الله عنهم. [٢]

ومثل ذلك قوله –تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [سورة الكهف: ٣٦].

---

[١] الملل والنحل – أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) – مؤسسة الحلبي – ج٣– ص٨١.

[٢] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن – ج٢١ – ص٤٩١، تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٣٠٥.

ومثله قوله –تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [سورة فصلت: ٥٠].

فهذه جملة مما ذُكر عن إنكار المشركين للبعث في الكتاب الحكيم، وفي سورة سبأ بشكل خاص.

المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في إثبات الساعة والرد على المنكرين.

أولاً: إثبات الساعة بإخبار الحكيم الخبير بوقوعها:

بعد أن توعد الله –سبحانه وتعالى– المشركين بالعذاب في الآية الأخيرة من سورة الأحزاب: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٣]، ذُكر أنَّ أبا سفيان –رضي الله عنه– قبل إسلامه قال متهكماً: "كأن محمدا يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبدا ".[١]

ولذلك ابتدأت سورة سبأ بإثبات أمر الآخرة وأنها بيد الله مالكها المتصرف فيها، يُحمد فيها على رحمته بالمؤمنين، ومغفرته للعصاة التائبين، وعدله بين الخلق أجمعين، فلا ظلم فيه؛ بل رحمة ليس كمثلها رحمة، فله الحمد في الآخرة –سبحانه– فهو يحصي في الدنيا أفعال العباد مهما صغرت وكبرت فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماوات، فيفصل بينهم يوم الساعة، فهو الحكيم في أمره الخبير بخلقه.

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة سبأ: ١]، فأن يثني –تعالى– على نفسه بالحمد والثناء المطلق على ملكه للآخرة، فذلك إشارة على ثبوت الآخرة وأنها واقعة بأمر الله –سبحانه– المتصرف فيها.[٢]

فيحمده المؤمن على ما أنعم –عزَّ وجل– عليهم من هداية في الحياة الدنيا ليصلوا إلى هذه الحال، ويحمدوه على مغفرته –تعالى– لهم ما ارتكبوا من خطايا وآثام، فرحمهم بأن نجاهم من النيران، وأكرمهم حين أدخلهم الجنان، ثم تفضل عليهم بأشكال الإنعام، ولسان حالهم: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِى لَوْلا أَنْ هَدَانَا الله﴾ [سورة الأعراف: ٤٣].

"وكان قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾[سورة سبأ:٢] مومياً إلى عروج الأرواح عند مفارقة الأجساد ونزول الأرواح لَتُرَدَّ إلى الأجساد التي تعاد يوم القيامة، فكان ذلك

---

[١] التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٣٤.

[٢] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٦ – ص٢٢١، غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري – ج٥ – ص٤٨٣.

مع قوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ﴾[سورة سبأ:١] مناسبة لتخلص إلى ذكر إنكار المشركين الحشر؛ لأن إبطال زعمهم من أهم مقاصد هذه السورة "[١]

وأخبر الله– تعالى– بوقوع الساعة في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سورة سبأ: ٢٠،٢١].

فجعل تعالى الفتن والابتلاءات التي ينزلها بعباده ؛ لتبين من يؤمن بالآخرة فيسعى لها، ويُنفق مما رزقه الله، ويصبر على ما في الدنيا من فتن وبلايا.

قال ابن قُتيبة– رحمه الله: "إن إبليس لما سأل الله –تعالى– النظرة قال لأغوينهم ولأضلنهم ولآمرنهم بكذا، ولأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً وليس هو في وقت هذه المقالة مستيقناً أن ما قدره فيه يتم، وإنما قال ظاناً، فلما اتَّبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سورة سبأ:٢١].وما كان تسليطنا إياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين، يعني نعلمهم موجودين ظاهرين فيحق القول ويقع الجزاء".[٢]

ودل قوله –تعالى–: "لتأتينكم" مسبوقة بالقسم على علمه –سبحانه وتعالى– بما هو آت مستقبل وهو الساعة، ومن علمه أنه لا يخفى على علمه –تعالى– مثقال ذرة ولا أصغر من الأجساد التي ستبلى، وهي التي يحتج بها أهل الشرك على عدم إتيان الساعة، فأينما كانت هذه الذرات في السماوات أو في الأرض صغيرة أو كبيرة فعلمها عند الله –سبحانه.[٣]

---

[١] التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٣٨.

[٢] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – ابن قيم الجوزية - ت: محمد حامد الفقي - مكتبة المعارف - الرياض– ج١ – ص٩٩.

[٣] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٤١،١٤٠.

ثانياً: إثبات الساعة بالقسم على وقوع البعث:

بعد قسم المشركين الباطل بآلهتهم العاجزة أن لن تأتيهم الساعة، أُمر النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يقسم بالإله الحق الذي عنده علم الغيب وعلم الساعة، أنها – الساعة – ستأتيهم وسيبعثون إليه في هذا اليوم الذي علمه عنده -سبحانه وتعالى- وأنه يحصي كل حركة وسكنة في كتاب مبين، يعرضها في ذلك اليوم الذي لا ريب فيه.[1]

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [سورة سبأ: ٣].

فيلقن الله -سبحانه- نبيه -عليه الصلاة والسلام- مقسماً بإتيانها، فيلقى في صدورهم من ترويع للمكذبين وإرهابهم بما في الإتيان من شر وبأس عليهم، فتظهر السورة قوة إثباتها للعقائد رغم أخذ طابع الحوار في أغلب آياتها.[2]

ثالثاً: إقرار سورة سبأ مجيئ الساعة بذكر علتها:

فبعد أنْ استهزأ المنكرون بالساعة، وأنكروا نجيئها بقولهم: "فكيف نبعث بعد الفناء"؛ تبين السورة أنَّ الساعة آتية ليجزي الله كل مؤمن على تسليمه وإيمانه، وكل برٍّ على بره وإحسانه، وفي المقابل يعذب كل مشرك على شركه وعصيانه، وكل كافر على كفره ونكرانه، وكل مذنب على ذنبه وأفعاله.[3]

وبعد ما رد عليهم دعواهم عدم قيام الساعة، ونكرانهم للبعث، جاءت السورة لتثبتها بذكر الحكمة والعلة من البعث، قال تعالى: ﴿**لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ**﴾ [سورة سبأ: ٣].

---

[1] انظر: تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٦٠، في ظلال القرآن – ج٥ – ص ٢٨٩٣.

[2] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٣٩.

[3] انظر: تفسير ابن كثير – ج٦ – ص٤٩٥.

فتظهر حكمة قيام الساعة وبعث الناس لها، من وجوب الجزاء لمن آمن وصدق بما جاء به المرسلون، وأنَّ من كفر بالأنبياء وما جاؤوا به وصدوا عن الآيات وسعوا فيها معاجزين فهم في العذاب محضرون. [1]

وقال تعالى- مدللاً على ذلك في غير موضع من كتابه: ﴿**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾ [سورة يونس: ٤].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "وسمى الله –سبحانه– يوم القيامة (يوم الدين) فإنه اليوم الذي يدين فيه الناس بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وذلك يتضمن جزاءهم وحسابهم؛ لذلك فسروه بيوم الجزاء، ويوم الحساب".[2]

رابعاً: ذوو العقول يستدلون على ضرورة قيام الساعة والبعث:

وكما بينا في مفاصل السورة الرئيسة السابقة من التوحيد والنبوة وأنَّ كلاً منها يُستدل عليه بالعقل، وكذلك أمر البعث، فإنَّ ذوي العقول وأولي الألباب ليصلون إلى ضرورة البعث والحساب.

وإنَّ الغيبيات كالبعث والبرزخ والجزاء والعقاب وما في الجنة والنار وإن كانت لا تتصوره العقول ولا تدركه فهذا لا يعني نكرانها.[3]

فتوجه السورة لإمكانية إحياء الموتى بعد موتهم وإنْ كان بعضٌ من ذوي العقول الجاهلة والأفهام القاصرة لا يرون ذلك، فالذين أوتوا العلم يرون إمكانية ذلك؛ بل إنَّ الحساب من الحكمة والعدل.

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – ص٦٧٤، في ظلال القرآن – ج٥ – ص ٢٨٩٢.

[2] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) – ابن قيم الجوزية – دار المعرفة – المغرب – ط١ – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – ص٢٠٦.

[3] انظر: الروح لابن القيم – ص٦٢.

قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ: ٦].

وتُوَجِّهُهُمْ بتوجيهٍ آخر ليصلوا إلى حقيقة البعث والساعة، أفلم ينظروا حولهم إلى السماوات والأرض، فهذا خلق الله –سبحانه وتعالى– ظاهر أمام أعينهم محيط بهم من كل جانب، فخالق هذا الكون العظيم لا يعجزه خلق ما هو أقل منه قدراً، ومعلوم أنَّ خلق السموات والأرض أعظم من البعث وإعادة خلق الناس، وفي هذا لدلالة لكل عبد أناب برجوعه إلى –الله سبحانه– تائباً.[١]

قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة غافر: ٥٧].

وفي دعوة أخرى للتفكر مع رسالة وعيد ترسلها السورة لمن أنكر الساعة وكذب بالبعث، أن الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يبعثهم ليجزيهم، وهو أيضاً قادرٌ على أن يحيط بهم ويعجل لهم العذاب.[٢]

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة سبأ: ٩].

قال قتادة – رحمه الله – في الآيات: " ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ينظرون عن أيمانهم، وعن شمائلهم، كيف السماء قد أحاطت بهم؟ ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كما خسفنا بمن كان قبلهم ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي قطعاً من السماء"[٣].

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص١٩٥، تفسير ابن كثير – ج٦ – ص٤٩٦.

[٢] انظر: تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٦٤.

[٣] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج١٩ – ص٢١٨.

خامساً: إثبات البعث بإخبار النبي بإتيانها:

تساءل منكرو الساعة عن موعد مجيئها مستهزئين وقد ذكر القرآن سؤالهم هذا في أكثر من آية من كتاب الله ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [سورة يونس: ٤٨]، [سورة الأنبياء: ٣٨]، [سورة النمل: ٧١]، [سورة سبأ: ٢٩]، [سورة يس: ٤٨]، [سورة الملك:٢٥].

ويأتي الجواب تبعاً لسؤالهم بما ينبههم إلى ما سيلقون فيه من عذاب، وتسلك السورة ذات المنهج في إثبات الساعة ووقتها، بأنَّها كائنة في يومٍ يودون إذا أتوه لو يؤخرونها إلى أجل بعيد؛ لكن أَنَّى لهم ذلك.

قال تعالى: ﴿**قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [سورة سبأ: ٣٠]، فاليوم آتٍ لا محاله وستبعثون فيه لِيُجْزَى كل عاملٍ بما عمل، لا تستأخرون عنه إذا رأيتموه، ولا تستقدمونه إذا استعجلتموه وأنتم مستهزئون مكابرون مكذبون، فلكم ميقات يوم أي ميعاد يوم وهو يوم البعث.[١]

سادساً: إقرار الساعة بذكر حال منكريها والبعث:

قال تعالى- في رده على من استهزأ بقول النبي- صلى الله عليه وسلم- عن البعث مستنكراً بذلك الساعة: ﴿**بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ**﴾ [سورة سبأ: ٨]، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ الآخرة واقعة لا محالة، ومن ينكر البعث فسيذوق عذاب الآخرة الذي كان ينكره في الدنيا.[٢]

وتَذكر السورة صوراً من مشاهد الساعة، تذكر فيه أحوال منكري الساعة والمشركين، ومن ذكر هذه المشاهد ليوم الساعة، ترسل السورة رسالة يتفكر بها من أنكر الساعة، كيف سيكون حالهم إن وقعت الساعة حقاً؟

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص٢٠٩، تفسير ابن كثير – ج٦ – ص٥١٩، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٥٠.

[٢] انظر: تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٦٣، الكشاف للزمخشري – ج٣ – ص٥٦٩، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٢٢.

ولما كان كثير ممن أنكر البعث والساعة أنكروه اتباعاً لسادتهم و ذوي السلطان والمال، ذَكر الله حالهم يوم القيامة مع من اتبعوهم، فإنْ كان كفر السادة تكبراً وعناداً، فكفرفهم كفر اتباع وليس لعدم التصديق والإلحاد.[1]

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣٤].

فقد قال تعالى في كفرهم وعنادهم: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣،٢٤].

جاءت السورة لتضع هؤلاء التابعين في صورة مشهد من مشاهد الآخرة، بعد أن استفسروا عن وقتها مستهزئين ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة سبأ: ٢٩]، وبعد أن أوحي النبي- صلى الله عليه وسلم- بالجواب: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣٠]، جاء وصف ذلك اليوم ليخاطب بذلك عقولهم، حيث الكلام ولو أنَّه موجه للنبي- صلى الله عليه وسلم- إلا أنّهم مقصودون في التفكر لحالهم، فذكر حالهم وارد في سياق حوار المشركين، بعد كفرهم بالقرآن وما بين يديه من الجزاء والبعث.[2]

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ...﴾ [سورة سبأ: ٣١].

فهذه حالهم يوم البعث الذي ينُكرون، يتلاومون فيه، يَظْهر عليهم الذل بما أصابهم، يتلاومون يلوم التبع السادة والسادة يتبرأون من أتباعهم، وكلٌ كلامهم في ذلك الموقف من باب الحسرة على ما فات ولوم من تسبب لهم بالعذاب.[3]

---

[1] انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين – ص٤١١.

[2] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص٢٠٣.

[3] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص٢٠٧، الكشاف للزمخشري – ج٣ – ص٥٨٣.

ويتلخص هذا المشهد بقوله -تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣١- ٣٣].

وبعد هذه الملامة التي يلقيها بعضهم لبعض، يرون أنهم فعلاً قد وقعوا في ذلك العذاب، ورأوه هذه المرة رأي عين، فقد كانوا في الدنيا متفقين في القول مكذبين بالبعث يتغنون بالنعيم؛ لكنهم بعد هذا الموقف، وبعد أن بعثهم الله يوم القيامة صاروا مختلفين في القول مصدقين بالبعث يذوقون العذاب.

وفي معرض ذكر أهوال يوم البعث الذي يكذب به المشركون، تعرض السورة مشهداً آخرَ من مشاهد الآخرة لمن كذب الرسل وأعرضوا عن ما أمروا به من التوحيد، وما أُنزل عليهم من الكتب والرسالات، وما أخبروا وحذروا منه من البعث والساعة والعذاب.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سورة سبأ: ٤٠].

وفيه إشارة للمشركين بأن الخلق كلهم لله سيُحشرون ويُسألون، وممن سيسأل هؤلاء الملائكة الذين تَدَّعون أنكم أشركتموهم مع الله وفي الحقيقة كنتم تعبدون الجنَّ تبتغون عندهم الشفاعة، فهم اليوم يتبرأون من فعلكم.[1]

قال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سورة سبأ: ٤١].

---

[1] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج١٩ – ص٣٠٠،أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج٤ – ص٢٤٩.

وذلك السؤال للملائكة إنما هو تقريع للمشركين، وزيادة في إنزال العذاب بهم، ليعلموا أنَّ كل ما صنعوه باطلٌ لا نفع فيه، فكما أنهم لم ينفعوكم في الدنيا، فلن ينفعوكم يوم أن يُحشر الناس.[1]

قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة سبأ: ٤٢].

وفي نهاية السورة وما سلكته من حوار طويل لإثبات محاورها الرئيسة الثلاثة التوحيد والنبوة والبعث، تعرض عرضاً أخيراً عن حال المشركين الذين كفروا بذلك يوم يحشرون إلى ربهم، والخطاب وإن كان موجهاً للنبي- صلى الله عليه وسلم- فإنه في الغالب موجه للمشركين وغيرهم، وذلك كقول القائل: "إياك أعني واسمعي يا جارة ".[2]

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سورة سبأ: ٥١].

أي ولو رأيتهم يوم القيامة، حين يخرجون فزعين من قبورهم مبعوثين إلى حيث يحشر الناس، صار عندهم البعث بعد أنْ كانوا منه في شك عين اليقين، لا مفر منه ولا سبيل للهروب، فإنْ حاولوا ذلك أخذوا من مكان قريب، فلن يُبعِدُوا هروباً، وسيحشرون كما كانوا يوعدون.[3]

وبعد أنْ ذكر -تعالى- فزعهم وبعثهم ذكر -تعالى- حال لسانهم حين رأوا ما كانوا يوعدون. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة سبأ: ٥٢].

قال أهل التفسير -رضي الله عنهم ورحمهم- في قولهم آمنا به: أي آمنا بالقرآن وهو قول القرطبي-رحمه الله، وقال مجاهد-رحمه الله: أي آمنا بالله، وقال الحسن-رحمه الله: آمنا

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير – ج٦ – ص٥٢٤، الجواهر المضية – ج١ – ص١٩.

[2] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج١٩ – ص٣١٣.

[3] انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٦ – ص٧١١، تفسير ابن كثير – ج ٦ – ص٥٢٨، في ظلال القرآن – ج٥ – ص٢٩١٦.

بالبعث، وقال قتادة–رحمه الله: أي بالرسول– صلى الله عليه وسلم– وقال الطبري وابن كثير– رحمهما الله: أي بالله وبكتابه وبرسوله.[1]

وعلى تفسير قوله –تعالى– ولو ترى إذ فزعوا: أي يوم بعثوا من قبورهم فإنَّ الذي يظهر أنهم يقولون آمنَّا بالبعث.

فعندما يقبض الله المشرك ينزل في أول منازل الآخرة وهو القبر فيؤمن بالله وما جاء به النبيون، قال تعالى– في وصف حالهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [سورة غافر: ٨٤]، فإيمانهم بالله يتضمن بذلك من جاء بالتوحيد أي الرسل. [2]

ولمَّا بعثهم الله –سبحانه وتعالى– من مرقدهم، ورأوا البعث بأعينهم؛ بل ساروا إلى حيث يحشر الناس وكانوا يُنكرون البعث قالوا: آمنَّا به، فآمنوا بالبعث متأخرين، حيث لا ينفعهم إيمانهم في ذلك اليوم، وفي قوله ويقذفون بالغيب، فإنْ البعث هو غيب، والرسول والكتاب أمامهم ظاهرٌ صدقه.

وأنى ينفعهم هذا الإيمان بعد أن صاروا في مكان بعيد عن الدنيا التي هي مكان العمل والإيمان وطاعة النبيين، والاستعداد لهذا اليوم، وكانوا قد كفروا بما أخبرت به الرسل ونزلت به الكتب، وأشارت إليه المعجزات، ودلت عليه العقول، لكنهم رغم ذلك أخذوا يطعنون بذلك كله عن جهالة ومكابرة واتباع للهوى.[3]

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۞ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة سبأ: ٥٢، ٥٣].

---

[1] انظر: تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٣١٥، جامع البيان في تأويل القرآن – ج٢٠ – ص٤٢٥، تفسير ابن كثير – ج٦ – ص٥٢٨.

[2] انظر: تفسير الماتريدي – ج٩ – ص٥٦.

[3] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج١٩ – ص٣١٤، انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٦ – ص٧١٥.

لكن ما يجب أنْ يُعلَم، رغم كل محاولاتهم الهرب أو الرجوع للتوبة فإنهم لمدركون، وقد فاتهم الإيمان واستجابة الرسل.[1]

قال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ [سورة سبأ: ٥٤].

سابعاً: إثبات البعث بالحوار:

وفي إثبات البعث اتخذت السورة سبيل الحوار لإقناع الخصم كما في إثباتها للتوحيد والنبوة، وذلك لإنزال الحجة على الخصم ودعوتهم لتشغيل العقل والتدبر في ما يصلون إليه من نتائج بعد هذا الحوار.

فبعد أول شوط من عرض السورة لأدلة البعث والتوحيد والنبوة، لم تتوقف محاورة الخصم ولا زالت تفتح عليه، تعينه على الإدراك مستدرجة إياه للإقرار بما تحمل السورة من عقائد بقوله –تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ: ٢٤]، وفي الأمر ذاته تحمل في طياتها الاستهزاء بهم وفي معناها تحمل كذبهم وضلالتهم؛ لكن دون الإفصاح بذلك؛ لكي يستمر في الإصغاء.[2]

والمعنى أن أحدنا على ضلالة والآخر على هدى، ومعلوم أنَّ النبي– صلى الله عليه وسلم– وصحبه الموحدين على هدى وهم على يقين بذلك، والآخرون هم على ضلالة، ولم يُصرح بذلك؛ لكي لا يصد المُحَاوَرَ عن الحوار، فيصير بذلك متعصباً لنفسه منتصراً لها، فيفوت غرض الإقناع.[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمة – رحمه الله –: "أهل التوحيد الذين يعبدون الله على هدى، أو في ضلال مبين، وأهل الشرك الذين يعبدون ما لا يضر ولا ينفع على هدى أو في ضلال مبين،

---

[1] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج١٩ – ص٣٢٢، انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٦ – ص٧١٥.

[2] انظر: البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٤٧.

[3] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص٢٠٥، التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٩٢.

تبين أن أهل التوحيد على الهدى، وأهل الشرك على الضلال، وهذا مما تعلمه جميع الملل من المسلمين واليهود والنصارى، يعلمون أن أهل التوحيد على الهدى، وأهل الشرك على الضلال."[1]

وتستمر الآيات في محاجة المشركين بقوله –تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة سبأ: ٢٥].

في الرد على أهل الباطل على ما يدعون من أن ما يدعُ إليه النبي– صلى الله عليه وسلم– من البعث هو كذب مفترى، دعت السورة إلى أن يتدبر كل واحد موقفه وأن يتحمل تبعات ما يعتقده، ومن أسلوب ترغيب الخصم بالحوار ودعوته لأخذه بجدية؛ ليتأمل بما فيه ويتفكر أن نُسب في حقهم العمل بخلاف ما نُسب في حق النبي– صلى الله عليه وسلم– ومن معه الإجرام الذي كانوا قد نسبوه له من قبل، في دعواهم أفترى على الله كذباً.[2]

ثم تنتقل في الحوار لإثبات البعث، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة سبأ: ٢٦].

وبأسلوب حواري آخر تنتقل السورة بتدرج لتصل إلى إثبات عقيدة البعث، وكأنَّ موقف الحوار استلزم أن يُفْصل بين من هو على هدى ومن هو على ضلال، ومحاسبة من أجرم على جرمه، ومجازاة من صلح عمله على صلاحه واتباعه الحق، فيلزم ذلك أن يكون هناك يومٌ للحساب بعد أنْ ينتهي عمل كل عاملٍ منهم، فلزم البعث ليجمعوا إلى يوم الفصل فيفصل الله بالحق بين الفريقين.[3]

وبعد قطع شوط من ذكر استدلالات السورة في إثبات محاورها الرئيسة، تعود لمحاورة المنكرين لها والمشركين بأساليب حوارية أخرى.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سورة سبأ: ٤٦].

---

[1] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – ج٣ – ص١٥٦.

[2] انظر: في ظلال القرآن – ج٥ – ص٢٩٠٥، أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج٤ – ص٢٤٧.

[3] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٩٥.

فهي رسالة تفكر، بأن تقوموا مخلصين القصد لله الواحد، ثم تنظروا لصاحبكم كيف كنتم تقولون فيه، فإن من اشتهر بالصدق مع الناس يستحيل أن يكذب على الله، واعلموا أنه ما هو إلا نبي جاء ينذركم من يوم الساعة وما فيه من العذاب.[1]

وللاستبراء من باقي شبه التكذيب، جاءت السورة تظهر أنْ النبي- صلى الله عليه وسلم- لا يريد في دعوته هذه أجراً منهم ولا منصباً سيادياً من حبه للسيادة، وأنَّ الأجر المراد والذي يبذل له كل هذا الجهد في الدعوة إلى الله هو ما يكون له من بعد البعث، والله يشهد على ذلك -سبحانه.[2]

وبعد استنفاد الأساليب الحوارية يأتي الصدع بقوة توافق الأسلوب الأول المعتبر، إنَّ هذا الحق قد ظهر، فمن نظر واستدل واعتبر، بما أوردت السورة من الدلالة على صحة ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم- من خبر، فإنه واجب أن يرى الحق ظاهراً لا مفر، كالتوحيد والنبوة والقرآن والحشر.[3] قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۞ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**﴾ [سورة سبأ: ٤٨،٤٩].

ومما اتخذته السورة في الحوار ما ذكرناه من مشاهد لمن أشرك بالله وكذب النبي -صلى الله عليه وسلم- وانكر البعث يوم الساعة، فكانت هذه المشاهد تستعرض لهم لتذكرهم بما سيؤول إليه أمرهم، وذكر شيء من عاقبتهم.

وبهذه النقاط السبع تقرر السورة أحدَ الموضوعات الرئيسة التي تناولتها سورة سبأ من قضايا العقيدة.

فتقرر عقيدة البعث وترد على المنكرين بأساليب عديدة يستحيل بعدها الإنكار أو حتى الوقوف موقف شاكٍ محتار !، فالأدلة على كثرتها وتنوعها قوية: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ**

---

[1] انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ج٤ – ص٢٥٠.

[2] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص٢١٥، التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص٢٣٥، في ظلال القرآن – ج٥ – ص٢٩١٥.

[3] انظر: البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٦٢، التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص٢٣٧.

﴿ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [سورة فصلت:٤٢]، وتستمر السورة بإثبات قضايا الغيبيات.

المبحث الثاني :

منهج سورة سبأ في تقرير عقيدة القضاء والقدر.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : القضاء والقدر لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : منهج سورة سبأ في تقرير مراتب القضاء والقدر.

المبحث الثاني:

منهج سورة سبأ في تقرير عقيدة القضاء والقدر.

المطلب الأول: القضاء والقدر لغة واصطلاحاً.

أولاً: القضاء لغة:

"قضي: قَضَى يَقضي قَضاءً وقَضيّةً أي حكم" [١]

قد يكون القضاء بمعنى العمل. قال الله –سبحانه– في ذكر من قال: ﴿**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**﴾ أي فاعمل واصنع.[٢]

ويكون القضاء بمعنى الأمر والحكم، قال –عز وجل: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا**﴾ [سورة الإسراء:٢٣]، فمعناه: أمر ربك وحتم، ويقال القاضي: الحاكم يأمر بتنفيذ الحكم وإنفاذه. [٣]

وقيل: " قد يكون بمعنى الصُّنْعِ وَالتَّقْدِيرِ، يقال: قَضَاهُ أي صَنَعَهُ وَقَدَّرَهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ [سورة فصلت: ١٢]، وَمِنْهُ (الْقَضَاءُ) وَالْقَدَرُ." [٤]

ثانياً: القدر لغة:

" وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ "[٥]

---

[١] العين – ج٥ – ص١٨٥.

[٢] انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس – محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) – ت: د. حاتم صالح الضامن – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ – ١٤١٢ هـ –١٩٩٢ – ج١ – ص٤٨٦، معجم مقاييس اللغة – ج٥ – ص٩٩.

[٣] انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس – ج١ – ص٤٨٦، لسان العرب – ج١٥ – ١٨٦، العين – ج٥ – ص١٨٥.

[٤] مختار الصحاح – ص٢٥٥.

[٥] تهذيب اللغة – ج٩ – ص٣٧.

وعرفه ابن الأثير– رحمه الله: "والقَدَر هُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا قَضَاهُ اللَّهُ وحَكَم بِهِ مِنَ الْأُمُورِ. وَهُوَ مَصْدَرُ: قَدَرَ يَقْدِر قَدَراً، وَمِنْهُ حَدِيثُ الاسْتخارة "فاقْدُرْه لِي ويَسِّرْه" أَي اقْضِ لِي به وهَيِّئه." [١]

القَدَرُ: القضاء الموفق، يقال: قَدره الله تقديراً. وإذا وافق الشيء شيئاً قيل: جاء على قَدَرِه، والأشياء مقادير أي لكل شيء مقدار وأجل. [٢]

ثالثاً: تعريف القضاء والقدر:

القضاء: "إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال". [٣]

القدر: "أن الله –تبارك وتعالى– قدر الأشياء في القدم وعلم –سبحانه– أنها ستقع في أوقات معلومة عنده –سبحانه وتعالى– وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى".[٤]

وجمع الخطابي– رحمه الله– بين القضاء والقدر فعرفه: " الإخبار عن تقدم علم الله –سبحانه– بما يكون من أفعال العباد وإكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها"[٥]

والقضاء والقدر إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فإذا ذكر أحدهما دخل الآخر في مدلوله، وإذا ذكرا معاً كان لكل واحد دلالة منفردة كما ذكرناه في التعريف.

والقضاء والقدر يتضمن من صفات الله –تعالى– إرادته فيفعل ما يريد ولا يخرج شيء عن إرادته، ولا عن مشيئته، ولا شيء حتى يخرج عن تقديره ولا عن تدبيره، كل شيء واقعٌ عنده علمه قبل أن يقع، ولا يقع شيء إلا بمشيئته، ولا يستلزم الواقع محبته، خلق الخلق وأفعالهم وقدر

---

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر – ج٤ – ص٢٢.

[٢] العين – ج٥ – ص١١٢.

[٣] لوامع الأنوار البهية – ج١ – ص٣٤٥.

[٤] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٢ – ١٣٩٢هـ – ج١ – ص١٥٤.

[٥] معالم السنن (شرح سنن أبي داود) – أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) – المطبعة العلمية – حلب – ط١ – ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م – ج٤ – ص٣٢٢.

أرزاقهم، وعلم أحوالهم فحفظها في لوحٍ عنده محفوظ قبل خلقهم، فإذا جاء موعده في القدر قضي، ولا راد لما قضاه.[١]

وكل مَا قدر أَو قَضَاهُ... فواقع حتما كَمَا قَضَاهُ

وَلَيْسَ وَاجِبا على العَبْد الرِّضَا... بِكُل مقضي وَلَكِن بالقضا

لِأَنَّهُ من فعله تَعَالَى... وَذَاكَ من فعل الَّذِي تقالى [٢]

---

[١] انظر: لمعة الاعتقاد– ص٢٤.

[٢] العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) – للسفاريني – ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود – مكتبة أضواء السلف – الرياض – ط١ – ١٩٩٨ – ج٢ – ص٣٥٧.

المطلب الثاني: منهج سورة سبأ في تقرير مراتب القضاء والقدر.

أولاً: ما ذكره العلماء في مراتب القضاء والقدر

ذكر ابن أبي العز الحنفي– رحمه الله: "والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله –تعالى– خالق أفعال العباد. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٢]. وأن الله – تعالى– يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كونا، ولا يرضاه دينا".[١]

قال شيخ الإسلام– رحمه الله: "والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين، فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله –تعالى– علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا، علم جميع أحوالهم، ثم كتب الله –تعالى– في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق،وأما الدرجة الثانية فهي بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن،وأنه ما من حركة ولا سكون في السماوات والأرض إلا بمشيئته –سبحانه– وأنه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات،فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه –سبحانه–لا خالق غيره، ولا رب سواه".[٢]

قال ابن القيم – رحمه الله: "مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر أربع مراتب المرتبة الأولى: علم الرب –سبحانه– بالأشياء قبل كونها المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها المرتبة الثالثة: مشيئته لها الرابعة: خلقه لها".[٣]

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي – ج٢ – ص٣٢١.

[٢] العقيدة الواسطية(اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة) – شيخ الإسلام ابن تيمية – ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود – أضواء السلف – الرياض – ط٢ – ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م – ص١٠٥–١٠٧، بتصرف..

[٣] شفاء العليل لابن القيم – ص٢٩، بتصرف.

ثانياً: إثبات السورة لمرتبة العلم لله –سبحانه– بالأشياء قبل وقوعها:

وفي إثبات السورة لمراتب القدر قال تعالى:﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة سبأ: ٤٨].

ففي هذه الآيات، تظهر سعة علمه سبحانه وتعالى وإحاطته وشموله لما في السماوات والأرض مهما كان حجم ما فيها كبر أو صغر.

ولك أن تتخيل ما يحدث في السماوات والأرض من حوادث، فكل طائر ومخلوق بلغ السماء، فهو في علمه، وكل دابة على الأرض إلا ويعلمها، ولا من كائن في ظلمات الأرض والبحر إلا عنده علمه سبحانه فهو علام الغيوب، لا يعجزه شيء.

ودل قوله تعالى لتأتينكم مسبوقة بالقسم على علمه سبحانه وتعالى بما هو آت مستقبلاً وهو الساعة، ومن علمه أنه لا يخفى على علمه تعالى مثقال ذرة ولا أصغر من الأجساد التي ستبلى، وهي التي يحْتَجُّ بها أهل الشرك على عدم إتيان الساعة، فأين ما كانت هذه الذرات في السماوات أو في الأرض صغيرة أو كبيرة إلا وعلمها عند الله سبحانه.[1]

وقال تعالى مفصلاً شيئاً من علمه: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ۞ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۞ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [سورة الرعد: ٨–١٠].

وفي معرض الحوار مع أهل الشرك تدلل على إحاطة علمه –تعالى– بكل شيء، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

---

[1] انظر: التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٤١،١٤٠.

[سورة سبأ: ٤٧]، أي أنَّ الله عليم بما في الصدر من قصد ونية، وذلك لا يطلع عليه إلا عالم الغيب سبحانه وتعالى.

وفي إثبات السورة لمرتبة علم الله المسبق وإحاطته بكل شيء، أنبأت السورة بما هو كائن للمشركين فيما بينهم، وحالهم مع بعض من زعموا أنهم عبدوهم كالملائكة، فعلمه تعالى لا يقتصر على ما هو كائن في الحياة الدنيا؛ بل بما سيكون أبداً، فذلك هو علام الغيوب جل في علاه.

فقال تعالى مخبراً بما سيقع يوم أن يحشر المشركين كبراءهم والمستضعفين التابعين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣١-٣٣].

وقال تعالى مخبراً عن الملائكة يوم القيامة وتبرئهم من المشركين الذين زعموا أنهم اتخذوهم شركاء مع الله حين يحشرهم جميعاً: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَـٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة سبأ: ٤٠-٤٢].

<u>ثالثاً: إثبات السورة لمرتبة الكتابة في اللوح المحفوظ:</u>

ومما دلت عليه السورة في إثبات الكتابة في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ: ٣].

إن هذا العلم الذي أحاط –سبحانه وتعالى– به مما في السماوات والأرض، ومما رزق خلقه من رزق، ومما كان ومما سيكون، كل ذلك مقيد ومسطور في كتاب مبين، وهو اللوح المحفوظ [1].

وكُرِّرَ قوله –تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [2] في أربعة مواضع في القرآن في كل مرة تكون منها مردفه لآيات بيَّنت إحاطة علم الله –تعالى– وشموله لكل شيء، لتكون إشارة أن علمه –سبحانه– وتعالى سطر في لوحٍ محفوظ، وهو القدر.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سورة سبأ: ٢١].

فهو –سبحانه وتعالى– يحفظ أعمال عباده وأقوالهم، ويعلم نياتهم وما تخفي صدورهم شرها وخيرها، فلا تخفى عليه خافيه ولا يغيب عنه شيء. [3]

والحفيظ: الذي لا يخرج عن مقدرته ما هو في حفظه، وهو يقتضي العلم والقدرة إذ بمجموعهما تتقوم ماهية الحفظ؛ ولذلك يتبع الحفظ بالعلم كثيراً كقوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٥٥]. [4]

وهذه المرتبة دلت عليها السنة المطهرة فعَنْ أَبِي حَفْصَةَ– رحمه الله، قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ– رضي الله عنه– لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ– صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ

---

[1] انظر: في ظلال القرآن – ج٥ – ص٢٨٩٢.

[2] [سورة الأنعام: ٥٩،سورة يونس: ٦١، سورة النمل: ٧٥، سورة سبأ: ٣].

[3] انظر: الأسماء والصفات للبيهقي – ج١ – ص١٧٦، البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٤٠.

[4] التحرير والتنوير – ج٢٢ - ١٨٥، وانظر: البحر المحيط في التفسير – ج٨ – ص٥٤٠.

شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "، يَا بُنِيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ- صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: " مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي "[1].

رابعاً: إثبات السورة لمرتبة المشيئة:

وفي مواضع متفرقة دلت السورة على مشيئة الله -سبحانه وتعالى- وإرادته، قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ**﴾ [سورة سبأ: ٩]، فيتعلق الأمر بمشيئة الله -تعالى- إن شاء خسف بأولئك الكافرين الأرض أو أسقط عليهم من السماء كسفاً.

وقال تعالى فيما تفضل به على نبيه سليمان -عليه السلام: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ [سورة سبأ: ١٢]، أي ومن الجن من يعملون بين يديه بمشيئة الله وإذنه، فتسخير الله -سبحانه وتعالى- الجن لسليمان -عليه السلام- كان بمشيئته وإذنه الكوني، فلو لم يشأ ما سخرها له.

والإذن الكوني هو كالمشيئة والإرادة الكونيين، فإن وقعت لا تستلزم محبة الله لها، قال ابن عباس -رضي الله عنه: "الإذن هو قضاء الله وقدره فإنه لا يحدث شيء إلا بمشيئة الله وإرادته"[2].

وفي إغواء إبليس للمشركين تدلل السورة على مشيئة الله الكونية وأن ما شاءه واقع بغض النظر عمن سخر على يديه إيقاع هذه المشيئة والإرادة، قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾ [سورة سبأ:

---

[1] رواه البيهقي – السنن الكبرى – ت: محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات – ط٣ – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م – كتاب جماع أبواب من تجوز شهادته , ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين – باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء– ح (٢٠٨٧٥) ص ٣٤٤، صحيح انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته – الألباني – المكتب الإسلامي – ح (٢٠١٧) – ص٤٠٥.

[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري – ج٢ – ص٢٧١.

٢١]، فالاستثناء – إلا لنعلم – يدل على أن الشيطان ما كان ليضلهم إلا لحكمة أرادها الله – تعالى– فأذن بأن مكنه من غوايتهم وإضلالهم لحكمة أرادها –الله تعالى.

وتثبت المشيئة في إذن الله –سبحانه– لمن شاء ورضي في الشفاعة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ: ٢٣]، لمن أذن له أي لمن شاء أن يشفع يعطيه الإذن بأن يشفع، أو يُشفع يعطي الإذن أن يكون مشفوعاً، ودلَّ على أن الإرادة هنا بمعنى المشيئة قوله –تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [سورة النجم: ٢٦]، فالإذن لمن شاء –تعالى– ورضي.[١]

وفي ذكر الرزق دللت السورة على مشيئته –تعالى– فهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، أي يكثره أو يقلله، كل ذلك يرجع إلى مشيئته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة سبأ: ٣٩]، وكل ذلك لمن يشاء أحبه أو لم يُحبه.[٢]

وإذ أثبتت السورة مشيئته –سبحانه وتعالى– التامة في خلقه، أشارت إلى إرادة الخلق التابعة لإرادة الله ومشيئته.

فلما ذكر –تعالى– أن الساعة آتية ذكر الحكمة منها. فقال: ﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سورة سبأ: ٤–٥]، فكيف يستقيم أنْ تُنزع المشيئة من الخلق ثم يحاكم كل منهم

---

[١] انظر: الإرشاد إلى توحيد رب العباد – عبد الرحمن بن حماد آل عمر – دار العاصمة، الرياض – المملكة العربية السعودية – ط٢ – ١٤١٢هـ – ص١٥.

[٢] تفسير ابن كثير – ج٦ – ص٥٢٢.

على ما كان مجبراً على فعله، فإثبات السورة للجزاء للمحسن والثواب للمسيء لدالة على مشيئة المخلوقين، وهي بذلك متعلقة بمشيئته –سبحانه وتعالى. [1]

ثم إنَّ الأوامر والنواهي لا تكون لمن أجبر على الأفعال، وإلا فهذه الأوامر بلا معانٍ ولا يجب أن يلقى لها اهتمام، فكيف ذلك وقد امتلأت بمثلها سور القرآن، فقد قال– تعالى– آمراً داوود وسليمان –عليهما السلام– أن يعملا من الصالحات وأن يشكروا الله على ما آتاهم من فضل عظيم، فقد قال تعالى: ﴿**أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [سورة سبأ: ١١]، وقوله –تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ داود شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور**﴾ [سورة سبأ: ١٣].

ومن ذلك أمره –جل في علاه– لسبأ بالشكر بعد أن أغدق عليهم من نعمه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾ [سورة سبأ: ١٥]، فكيف يؤمر بالشكر من هو لا يملك الاختيار، فيعاقب ويؤاخذ على تقصيره في إتيان ما أمر به.[2]

والآيات التي يُحاور فيها المشركون؛ لتدل على أن العبد غير مجبور، فكيف يُحاورُ من لا يملك التصرف في أفعاله ولا في قرارته ؟!

خامساً: إثبات السورة لمرتبة الخلق:

وهو الإيمان بأن الله –سبحانه وتعالى– خالق كل شيء مما في السماوات وفي الأرض، وخلقه شامل لصفات هذه المخلوقات وأعيانها وما يصدر عنها من قول وفعل.

وفي إثبات مرتبة الخلق اتخذت السورة أكثر من طريق، فمن اثبات الخلق بذكر استحقاقه –تعالى– للحمد وذكر ملكه لما في هذا الكون من سموات وأراضين وما فيهن، قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي**

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي – ج٢ – ص٦٤٤.

[2] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي – ص١٣٩.

﴿الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة سبأ: ١]، فلا يستحق إله الحمد على ملك شيء إلا إذا كان خالق ما استحق الحمد لأجله [١].

وبطريق أخرى تقرر السورة هذه المرتبة، بنفي الشريك، فنفت الشرك من أصوله كأقوى الأدلة القرآنية على نفي أنواع الشرك كافة، وفي ذلك دلالة على تفرده بالخلق -جلَّ في علاه- قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سورة:٢٣] [٢].

---

[١] شفاء العليل – ج١ – ص٢٢١.

[٢] مدارج السالكين – ج١ – ص٣٥١.

المبحث الثالث :

منهج سورة سبأ في إثبات الجزاء للمؤمنين والعقاب للظالمين.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الجزاء والعقاب لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : الجزاء (الثواب) في سورة سبأ.

المطلب الثالث : العقاب في سورة سبأ.

المبحث الثالث:

منهج سورة سبأ في إثبات الجزاء للمؤمنين والعقاب للظالمين.

تقرر السورة عقيدة الجزاء والعقاب في أول فصولها، حيث الثواب والعقاب من لوازم الأوامر والنواهي، فلا يستوي من خالف الأمر وتجاهل النهي ممن استقام باتباع ما أُمر به، واجتنب ما نهي عنه، قال تعالى- في ذكر حكمة البعث وقيام الساعة: ﴿**لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ**﴾ [سورة سبأ: ٤،٥].

وقال تعالى: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [سورة إبراهيم: ٥١].

وقال تعالى: ﴿**لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [سورة الحشر: ٢٠].

المطلب الأول: تعريف الجزاء والعقاب لغة واصطلاحاً.

<u>أولاً: الجزاء في اللغة:</u>

"جزي: جزى يجزي جزاء، أي: كافأ بالإحسان وبالإساءة. وتَجازيتُ ديني: تقاضيته."[١]

وقيل: "جَزِيَ: الجَزاءُ: المُكافأَة عَلَى الشَّيْءِ، جَزَاه بِهِ وَعَلَيْهِ جَزَاءً وجَازَاه مُجَازَاةً وجِزَاءً".[٢]

قَالَ الْفَرَّاءُ: "لَا يَكُونُ جَزَيْتُه إِلَّا فِي الْخَيْرِ وجَازَيْته يَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ". [٣]

---

[١] كتاب العين – ج٦ – ص١٦٤.

[٢] لسان العرب – ج١٤ – ص١٤٣.

[٣] تهذيب اللغة – ج١١ – ص١٠٠.

قال الهيْثَم: "الجزاءُ يكون ثَواباً، ويكونُ عِقاباً. قَالَ الله –جلَّ وعزَّ: ﴿**قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ۞ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾ [سورة يُوسُف: ٧٤، ٧٥] ". [١]

ثانياً: العقاب في اللغة:

وعاقِبَةُ كلَّ شَيءٍ: آخرُه، وعاقِبُ أيضاً بلا هاء ويُجْمَعُ عَواقِبَ وعُقُباً. ويقال: عاقِبةٌ وعَواقِبُ وعاقِبٌ وعُقَّبٌ[٢]

قَالَ الْفراء: "يُقَال عاقبَه عَاقِبَة بِمَعْنى الْعقَاب والمعاقبة".[٣]

قَالَ ثَعْلَبٌ: " وَلا يَخافُ عُقْباها: مَعْنَاهُ لَا يَخافُ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– عاقِبةَ مَا عَمِلَ أَن يَرجعَ عَلَيْهِ فِي العاقبةِ، كَمَا نَخافُ نحنُ. والعُقْبُ والعُقُبُ: العاقبةُ، مِثْلُ عُسْرٍ وعُسُرٍ. ومِنْه –قَوْلُهُ تَعَالَى: هُوَ خَيْرٌ ثَواباً، وَخَيْرٌ عُقْباً" [٤]

والعِقابُ والمُعاقَبة أَن تَجْزي الرجلَ بِمَا فَعل سُوءًا؛ والاسمُ العُقُوبة. وعاقَبه بِذَنْبِهِ معاقَبة وعِقاباً: أَخَذَه بِهِ. [٥]

ثالثاً: الجزاء والعقاب في الاصطلاح:

الجزاء قد يكون في الخير وهو بمعنى الثواب أو في الشر وهو بمعنى العقاب كما ذُكر في التعريف اللُغوي.

---

[١] تهذيب اللغة – ج١١ – ص٩٨.

[٢] كتاب العين – ج١ – ص١٧٩.

[٣] تهذيب اللغة– ج١ – ص١٨٢.

[٤] لسان العرب – ج١ – ص٦١١.

[٥] المصدر السابق – ج١ – ص٦١٩.

الجزاء في الخير (الثواب): هو ما يكافئ الله به عباده المؤمنين ويثيبهم على إيمانهم وإحسانهم وطاعتهم في الدنيا أو في الآخرة، وقد يطلق الجزاء على ما يلقاه المسيء جراء إساءته. [1]

أما العقاب: فهو ما ينزله الله –جل وعلا– على العصاة أو المشركين أو من كفر بأنعم الله –تعالى– جراء عصيانهم وطغيانهم وإعراضهم عن أمر الله وقد يعجل الله لهم العقاب في الدنيا أو يدخره لهم في الآخرة، ويطلق عليه جزاء قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [سورة آل عمران: ٨٧]. [2]

---

[1] انظر شرح العقيدة الطحاوية– ج١– ص٦٠٠.

[2] انظر السابق.

المطلب الثاني: الجزاء (الثواب) في سورة سبأ:

ذكر الله –سبحانه وتعالى– أنه يثيب عباده المؤمنين على طاعتهم وشكرهم وإيمانهم به وتوحيده، وذلك من باب كرمه –تعالى– ورحمته، وقد قررت السورة أن الثواب على المؤمنين ينزل في الدنيا والآخرة.

أولاً: الدلالة على الجزاء (الثواب) في الدنيا:

أقرت السورة الثواب لمن أحسن وأناب في الدنيا وذلك كما ظهر في موضعين:

الأول: لما دعت السورة للتفكر والتدبر لما في السماوات والأرض وأنَّ في هذا الخلق لآيات لكل عبد تائب راجع إلى ربه، ذكر –تعالى– ما تفضل به على من تاب وأناب دوواد وسليمان –عليهما السلام. فقال: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا داوود مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [سورة سبأ: ١٠، ١١].

وقال في سليمان –عليه السلام: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ داود شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سورة سبأ: ١٢، ١٣]. [1]

فحاصل الأمر أنَّ الله آتاه جزاءً له على إنابته، ففي غير مرة يذكر الله –سبحانه وتعالى– داوود –عليه السلام– مع إنابته وتوبته، فيظهر أنَّ ما آتاه الله –سبحانه– بعد فضله كان من توبته وإنابته –عليه السلام.

وإن ثاني ما دلت عليه السورة من ثواب الدنيا هو ما يكون متعلقاً بجنس العمل، وإن الإحسان يقابل بالإحسان، فلما كان المنفق ماله ابتغاء وجه الله محسناً لمن هو في حاجة للمال، أحسن الله إليه وقابل جزاءه بأن أخلفه على ما أنفق، قال تعالى:

---

[1] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن – ج١٩ – ص٢٧٢.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة سبأ: ٣٩]، فلما كانوا من المحسنين جازاهم الله بذلك الإحسان فقال فهو يخلفه، فكان الجزاء من جنس العمل.[١]

ومما يدلل على ما أقرته السورة من أنَّ الله يُخلِف على من أنفق، ما جاء في السنة المطهرة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّ النَّبِيَّ– صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا "[٢]

ثانياً: الدلالة على الجزاء (الثواب) في الآخرة:

وأقرت السورة بوقوع ثواب الآخرة لمن آمن وصلح عمله، ومن ذلك ما ذكره تعالى في ذكر حكمة البعث والساعة، بأنَّه باعث الناس ليجزي المؤمن ومن عمل صالحاً على إيمانه وعمله الصالح وإحسانه.[٣]

قال تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة سبأ: ٤]، لينعم السعداء من المؤمنين الذين حققوا إيمانهم بالعمل الصالح بالمغفرة في الدنيا لما يقع منهم من خطايا، ولهم رزق من رزق الله في الآخرة. [٤]

ومما أوردته السورة لتقرر عقيدة الجزاء والثواب قوله –تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا

---

[١] بدائع الفوائد لابن القيم – ج٣ – ص١٧، تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٣٠٧.

[٢] رواه البخاري: صحيح البخاري – كتاب الزكاة – بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى۞ وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى۞ وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٦] «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا»– ح (١٤٤٢) ص١١٥.

[٣] انظر: تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٦١، أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج٤ – ص٢٤٢.

[٤] انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ) – جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) – دار الكتب العلمية – لبنان – ص٣٥٩، في ظلال القرآن – ج٥ – ص ٢٨٩٣.

﴿عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣٧]، فإنَّ هذا النعيم من مالٍ وولد لا يستوجب نعيم الآخرة إلا إذا استخدم فيما يتوافق مع الإيمان بصرفه في العمل الصالح.[١]

وفي قوله –تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة سبأ: ٣٩]، قال بعض أهل العلم إنَّ هذا التعويض قد يكون في الدنيا أو في الآخرة والأمر في ذلك يتعلق بمشيئته سبحانه.[٢]

ثالثاً: دلالة سورة سبأ على أنواع النعيم في الآخرة:

أقرت السورة بعض أنواع النعيم الذي يُجزى بها أهل الجنة ممن آمن بالله واليوم الآخر.

١. رزق كريم:

وقد أعدَّ –تعالى– لعباده المؤمنين ممن أنعم عليه بمغفرته في الجنة له رزق كريم فقال– سبحانه: ﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة سبأ: ٤].

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٤].

٢. الغرفات:

دلالة السورة على الغرف قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣٧].

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص٢٠٩.

[٢] انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج٤ – ص٢٤٩.

ودلت السنة على الغرف في الجنة فعن سعد بن سهل –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللهِ– صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرْفَةَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ" [1]

وفي الغرف فقد روى عن أبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ– صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَتَابَعَ الصِّيَامَ وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ "[2]

---

[1] رواه مسلم: صحيح مسلم – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها– باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، كما يرى الكوكب في السماء– ح (٢٨٣٠) ص٢١٧٧.

[2] رواه البيهقي – السنن الكبرى – ت: محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات – ط٣ – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م – كتاب الصيام – باب من لم ير بسرد الصيام بأسا إذا لم يخف على نفسه ضعفا وأفطر الأيام التي نهي عن صومها– ح (٨٤٧٩) ص ٤٩٥، صحيح انظر: مشكاة المصابيح – محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ) – ت: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٣ – ١٩٨٥ – ح (١٢٣٢) – ص٣٨٨.

المطلب الثالث: العقاب في سورة سبأ.

وفي دلالة السورة على ثاني أنواع الجزاء وهو العقاب وردت آيات عديدة بينت عقاباً يُنال في الآخرة وآخر يجازى به الكفور في الدنيا.

وقد أوردت السورة العقاب في الدنيا والآخرة حيث ناله أقوام، وتوعد –سبحانه– به من كفر وأشرك وظلم وأعرض. [1]

أولاً: دلالة السورة على العقاب في الدنيا:

وإن العذاب قد يسبق ليكون في الدنيا لمن أراد الله أن ينزل عليه عذابه، فعن أبي حيوة– رحمه الله– قال: "جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والمنغص في اللذة قيل: وما المنغص قال: لا يصادف لذة حلال إلا جاءه من ينغصه إياها"[2]

وصف –تعالى– من كفر بالبعث أنه في الضلال البعيد: ﴿**أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ۗ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ** ﴾ [سورة سبأ: ٥]، فلما اتهموا النبي– صلى الله عليه وسلم– بالجنون، عوقبوا بأن ألبسهم الله الضلال، وذلك مثل قوله –تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥]، فمن أراد الله إضلاله بكفره، أعماه عن الحق والهدى.[3]

ومما أقرته السورة مما يعاقب به الله مَنْ شاء مِنْ خلقه في الدنيا، أن يخْسف بهم الأرض كما خسف الله الأرض بقارون عقاباً له: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**﴾ [سورة القصص: ٨١].

---

[1] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن – ج١٩ – ص٢٧٢.

[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور – ج٦ – ص٦٩٢.

[3] انظر: تفسير القرطبي – ج١٤ – ص٢٦٣، جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج٩ – ص٥٤٤.

وإن شاء –سبحانه– أنزل عليهم عذاباً من السماء، كما فعل بقوم موسى –عليه السلام: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة البقرة: ٥٩].[١]

ويتحصل الوعيد بالخسف وإنزال العذاب من السماء لمن أنكر البعث فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة سبأ: ٩].

وفي إعراض قوم سبأ عن شكر الله –سبحانه وتعالى– أزال الله عنهم عقاباً لعنادهم وكفرهم وشركهم ما كان قد أنعم عليهم به فقد قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سورة سبأ: ١٦،١٧].

وإن كان الثواب يكون من جنس العمل فكذلك العقاب يكون من جنس العمل قال الحسن البصري – رحمه الله – في عذاب الله لقوم سبأ: "صدق الله العظيم. لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور" [٢].

ولما ما اعتبروا من ذلك العذاب الذي نزل بهم أولاً، وما شكروا النعم ليحفظوها كما فرطوا في الجنان بكفرهم، أزال الله ما فضله بهم على غيرهم فباعد بينهم وبين أسفارهم، وأهلك ما كان بينهم من منازل وقرى كانت ظاهرة، وبدل أطايب الفاكهة إلى شوك وثمر مُر، فقال تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سورة سبأ: ١٩].[٣]

---

[١] انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ج١ – ص٨٣.

[٢] تفسير ابن كثير – ج٦ – ص٥٠٨.

[٣] انظر: في ظلال القرآن – ج٥ – ص٢٩٠١.

فهذا الذي أصاب قوم سبأ ما كان إلا عقاب من الله على ظلمهم أنفسهم بعدم إيمانهم بالرسل الذين أرسلهم الله لهم، ونكروا ما أُنعم عليهم لما تركوا الشكر، وأوجبوا زوالها لما أشركوا مع الله الشمس.[1]

ثانياً: دلالة سورة سبأ على العقاب الأخروي:

ودلت السورة على ثبوت العقاب في الآخرة لمن خالف الأمر وأشرك وكفر وعصى إن شاء الله.

وكما أنه –تعالى– سيكافئ المؤمن بالجنة في الآخرة، سيجازي كذلك المسيء بالعذاب في السعير بالآخرة، قال –تعالى– عند ذكر علة البعث: ﴿**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ**﴾ [سورة سبأ: ٥].

ولمن عارض الآيات وطعن في صدق النبي –صلى الله عليه وسلم– وما أنزل عليه، توعده الله بأنه سيحضر في عذاب جهنم جزاء بما سعى في تكذيب الرسل والكتب، قال –سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ**﴾ [سورة سبأ: ٣٨].

وبعد عرض مشهد من مشاهد الآخرة يتلاوم فيه المشركون في سبب وصولهم لهذا العذاب، تبين السورة نوعاً من أنواع العذاب، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [سورة سبأ: ٣٣]، وتظهر الآية نوعاً من أنواع العذاب وهو الأغلال في أعناق الذين كفروا، وهذا من جنس عملهم، فلما سار المتبوعون خلف المستكبرين، ووجههم المستكبرون توجيه الإنسان للبهيمة كان عقابهم أن تدور الأغلال في أعناق المستضعفين منهم كونهم صاروا أذلة وحكموا أنفسهم في اختيار طريقهم، وفي أعناق المستكبرين أنهم استعبدوا المستضعفين وتحكموا بهم بما ملكوا من سلطان ومال.

---

[1] انظر: مفاتيح الغيب – ج٢٥ – ص٢٠٢، التحرير والتنوير – ج٢٢ – ص١٦٥.

ولمن أشرك بالله تعالى وظن أن له شفعاء وشركاء، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة سبأ: ٤٢].

ومن عصى أمر الله -تعالى- في الدنيا فقد جعل الله له في الأخرة ناراً مسعرة يعذب فيها، قال تعالى- متوعداً من يعصي أمر سليمان -عليه السلام- من الجنِّ الذين سخرهم ليعملوا له ما يشاء: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة سبأ:١٢]

بذلك تكون السورة أقرت بالثواب والعقاب، فيثيب الله- جلَّ في علاه- أهل الإيمان ومن عمل منهم صالحاً إن شاء، ويحل العقاب على من أشرك وكفر وكذب الرسل وسعى في آيات- تعالى- معاجزاً.

وبهذا تثبت السورة آخر ما أثبتته من الغيبيات التي تناولتها السورة بما يسَّر الله لي إدراكه من تقرير البعث وعقيدة القضاء والقدر وإثبات الجزاء والعقاب الدنيوي والأخروي.

الخاتمة

الخاتمة والنتائج

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، لك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، والصلاة والسلام على من أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إليه وسراجاً منيراً، وبعد:

في نهاية هذا البحث أضع بين أيديكم ما توصل إليه البحث من نتائج بإيجاز وهي على النحو التالي:

١- ذات الله مقدسة، ينسب له كل صفات الكمال التي نسبها الله -جل في علاه- لنفسه، منزهة عن كل صفات النقص، مستحقة للعبادة والشكر على أكمل وجه.

٢- إن الدعوة إلى التوحيد غاية إرسال الأنبياء وإنزال الكتب من السماء، وواجب الدعاة إلى الله بانتهاج نهج الأنبياء واتباع ما أوحى الله في ذلك.

٣- الشرك بالله في العبادة أو الوسيلة تحيله العقول ولا تسيغه، تنبذه الفطر ولا تتقبله الأفهام بكل أشكاله.

٤- النعيم وزينة الحياة الدنيا هي فتنٌ لا تستلزم من الله الرضى، ولا حسن المآل في الآخرة؛ بل تستوجب الشكر للمُنْعِم بالعبادة والإخلاص، وتجاهل المُتَنَعَّمين لها يقودهم إلى العذاب ويوجب عليها الارتحال.

٥- لا يعلم الغيب إلا الله، فلا تعلم الجن ولا الملائكة، ولا ما تخبئه الأقدار إلا لمن أذن الله له أن يعلم.

٦- من لوازم الإيمان بالله، إثبات الرسل والكتب المثبتة في الكتاب وصحيح السنة، ودفع كل شبهة ودعوى باطلة تثار حولها.

٧- إن نبينا محمداً- صلى الله عليه وسلم- اتخذ أساليب عديدة في الدعوة إلى توحيد الله -سبحانه وتعالى- ومنها الحوار بلين الكلام مع عزة الإسلام.

٨- الثبات في الدعوة إلى الله وعدم الوقوف عند صد المدعوين للدعاة بالكذب والقذف والافتراء.

٩- سوء مآل المشركين وآلهتهم من دون الله، وبراءة الأنبياء والملائكة والصالحين من شرك المشركين.

١٠- ليس للشيطان قدرة في إضلال الناس، وإن ما وعد به من إغواء الناس ما هو إلا ظن منه.

١١- البعث حق، والساعة حق، ووقوعهما دلالة على حكمة الحكيم وعدل الفتاح العظيم.

١٢- كل حادث في الكون يحدث إنما هو بقضاء الله وتقديره ومشيئته وإرادته، وذلك لا يستلزم محبته، ولا ينفي عن المخلوق إرادته التابعة لإرادة الله ومشيئته.

١٣- الجزاء والثواب من علامات العدل والحكمة، ومن مستلزمات الألوهية، فكل عبد سيلقى ما قدم، إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر.

في هذا البحث، ما كان فيه من خلل أو نقص فمن نفسي ومن الشيطان، وما كان من توفيق ومن سداد فمن الله -جلَّ في علاه- وأسأل الله العلي الكبير أن يكون عملاً خالصاً لوجه الكريم، وأن ينفع به.

- **<u>التوصيات التي يوصي الباحث بها:</u>**

١- كتابة الرسائل العلمية التي تعزز الحث على زيادة التفكر والتدبر بملكوت الله لمن حمل همَّ الدعوة إلى هذا الدين الحق ومناظرة من خالف أهل السنة والجماعة في بعض مسائل العقيدة بالآيات الكونية والعظمة الإلهية في الخلق والإيجاد، إذ لا يخلو حوار في القرآن إلا وفيه دعوة للتفكر في ملكوت الله.

٢- عمل أكثر من رسالة حول نفس الموضوع من خلال سور أخرى مكية ومدنية لإبراز أهمية هذا الموضوع .

٣- عمل موسوعة في العقيدة في إبطال العقائد الباطلة المعاصرة .

تم بحمد الله يوم السبت الموافق:١٤٣٦/١٢/٢٠هـ

ملخص البحث

إن العقيدة الإسلامية هي أساس الدين الإسلامي العظيم، ولتقريره أرسل الله –سبحانه وتعالى– الأنبياء –عليهم السلام– وأوحى إليهم الآيات والحكمة، وكان آخر الرسل نبينا محمد– صلى الله عليه وسلم– وآخر الكتب المعجزة الخالدة (القرآن العظيم)، وأنزل الله بالقرآن مقرراً للعقيدة السليمة، ليكون الدستور الذي أنزله الله على رسوله –صلى الله عليه وسلم– ليستقي منه الخلق عقيدتهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وفي إثبات العقيدة اتخذ القرآن أساليب عديدة؛ لذلك قررت في هذا البحث أن أنظر في منهج سورة سبأ التي حملت بين آياتها أساليب متنوعة وطرقاً عديدة لإثبات العقيدة الإسلامية بمفاصلها الثلاثة:الألوهيات والنبوات والغيبيات.

وفي بيان منهج السورة في تقرير العقيدة قُسِّم البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

ابتدأ البحث بالتمهيد وفيه تعريف بالسورة وأهميتها، وموضوعاتها الرئيسة، وعرفت المصطلحات الرئيسة فيها.

أما الفصل الأول فقد تحدث فيه الباحث عن منهج السورة في تقرير التوحيد وإبطال ما سواه، ومنهجها في إثبات أسماء الله وصفاته ودلالتها على الإيمان بالأسماء والصفات، وذُكِرَت مواقف علماء السلف ومنهجهم في إثباتها، وذُكِرت الأسماء والصفات الواردة في السورة، وتعرض البحث لمنهج السورة في إثبات وجوب الشكر لله والتحذير من الكفر بالنعم.

أما الفصل الثاني فتحدث فيه الباحث عن منهج السورة فيما يتعلق بالأنبياء –عليهم السلام– في السورة ووظائفهم وتفاضلهم وسلامة دعوتهم، وبين ما جاء فيها من ذكر للنبي محمد– صلى الله عليه وسلم– وتقرير نبوته، وإثبات الشفاعة لمن أذن الله له، وتقرير أن القرآن من عند الله.

أما الفصل الثالث فتحدث فيه الباحث عن منهج السورة في تقرير البعث وعقيدة القضاء والقدر والمشيئة والجزاء والعقاب.

وفي كل فصل ومبحث من المباحث تعرف المصطلحات،وتُعرض منهج السورة في دفع الشبه المثارة حول موضوعاتها،وكيف كان الحوار أحد أساليب السورة الرئيسة في دفع الشبهات وردها.

وفي الخاتمة سُجِّلت أهم النتائج والتوصيات التي هدى الله الباحث إليها.

Abstract

The Islamic faith are the basics of the great Islamic religion، so، Almighty God sent his prophets – peace be upon them – and inspired them with verses and wisdom in order to confirm it. Our prophet Muhammad، peace be upon him، was the last messenger to humanity، also the last religious book of all previous books is the (Holly Qur'an). For that، God sent it to people in order to take it a life constitution to benefit all humanity with its principles that have the ability of strengthen others' faiths. However، the Holly Qur'an has taken many strategies towards affirming the true Islamic faith. From this point، this research goes through some of that strategies and that is by studying Sura Saba، which also has its own role in confirming faith with its three basic organs: divinities، prophecies and Audiology. and they are including in this research which classify into; a preface، three chapters and a conclusion.

First، the research started with the preface for all the coming and it includes a general explanation of the Sura، its importance، main ideas of its different topics and definitions of many important concepts. All this to make the research clear to the reader by expanding the reader's knowledge.

Secondly، the three chapters each has its specific role in the research to make the topic clear and the idea of establishing the true religion is also clear. The first chapter talks about the Sura's methods in reinforcement monotheism and invalids anything else. Another thing is proofing God's names and attributes besides views predecessor scholar views and their attitudes towards affirming the obligatory of thanking God and warnings of disbelieve of blessings. Then، the second chapter which focuses through the Sura on the point that related to prophets، peace be upon them، to their jobs، to their advantages، and their claim purity. The last chapter turns to the Sura`s methodology toward promoting some creeds such as، Baath، Fate and destiny، will، Reward and punishment.

Furthermore، In each chapter of each Study of the Sura there are many terminologies of each terms. Then the research displays the methodology in the Sura in order to pay the allegations raised about their

subjects، and how the dialogue was one of the main methods in Sura pays suspicions and refunds them.

In the conclusion the most important reached findings and the recommendations is recorded.

الفهارس

فهرس الآيات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
1	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ	21	1
2	وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا....	26	67
3	إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ	32	45
4	فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ....	59	182
5	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى....	159	94
6	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ....	186	68
7	مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ....	245	70
8	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ....	255	71، 108
9	تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ	253	103
10	وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ	267	56
	سورة ال عمران		
1	وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ....	7	39
2	قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ	26	48
3	ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ....	44	136
4	أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ....	87	176
5	فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا....	98	64
6	وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ....	129	47
	-		

سورة النساء			
1	ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا	70	58
2	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ....	163	97
سورة المائدة			
1	وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ	114	52
2	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ....	116	35
سورة الأنعام			
1	وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	13	69
2	وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ	18	45
3	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ....	39	135
4	كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ	54	49
5	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ....	60	54
6	ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ	96	50
7	ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ....	102	73
8	وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ....	115	75
9	فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ....	125	181
سورة الأعراف			
1	قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ....	16 ، 17	88
2	الْحَمْدُ للهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِى لَوْلا....	43	147
سورة الأنفال			
1	أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ....	4	179
-			

سورة التوبة			
1	وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ	16	46
سورة يونس			
1	إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ	4	150
2	وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ....	18	34
3	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ	29	64
4	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	48	152
5	إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	65	55
6	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعا...	99	57
سورة هود			
1	قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ....	46	26
سورة يوسف			
1	قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ	55	168
2	قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ....	74 ، 75	175
3	إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ	88	54
سورة الرعد			
1	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ....	8	166
2	عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ	9	166
3	سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ....	10	166
سورة إبراهيم			
1	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ....	7	87، 89
2	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ....	39	69

3	لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ.....	52	174
سورة النحل			
1	وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ...	38	144
سورة الإسراء			
1	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا....	23	162
2	وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا....	49	144
سورة الكهف			
1	وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ....	36	145
2	قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ....	109	75
سورة طه			
1	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى	8	71
2	الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى	64	50
سورة الأنبياء			
1	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	38	152
2	قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ	62	28
3	قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ	63	28
4	فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ	64	28 ،30
5	ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ	65	28 ،30
سورة الحج			
1	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ	62	62
2	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي...	65	108
-			

سورة المؤمنون			
1	أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ....	4	**179**
2	أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ	70	**100**
3	قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ	82	**145**
4	لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا....	83	**145**
5	وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ	91	**14**
سورة الفرقان			
1	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا	2	**165**
سورة النمل			
1	وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ	**16**	**104**
2	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	71	**152**
سورة القصص			
1	فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ....	81	**181**
سورة الروم			
1	وَهُوَ الَّذِى يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ....	27	**143**
2	إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ....	33	**28**
3	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ....	37	**70**
سورة الأحزاب			
1	لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ....	**73**	**10 ،147**
سورة سبأ			
1	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ...	**1**	**1،10 ،22، 42،65،71 ، 147 ،171**

2	يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ...	2	10 ،11 ،22 ،42 ،50 ،166
3	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ...	3	10 ،11 ،141 ،144 ،149 ، 154 ،166 ،167
4	لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم...	4	47 ،53 ،130 ،149 ،170 ، 174 ،178 ،179
5	وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ.	5	130 ،149 ،170 ،174 ، 183
6	وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...	6	9،12 ،42، 132 ،133 ، 137 ،151
7	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ...	7	12 ،111 ،131 ،145
8	أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ...	8	12 ،111،113 ،145 ،181
9	أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ...	9	134، 151 ،169 ،182
10	۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ...	10	23 ،58 ،81 ،103 ،177
11	أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ ...	11	23 ،59 ،81 ،171 ،177
12	وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ...	12	23 ،81، 104 ،169،177 ، 184
13	يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ...	13	23 ،81
14	فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ...	14	60
15	لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَال...	15	42 ،171
16	فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ ...	16	84 ،182
17	ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ.	17	53 ،84 ،182
18	وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ...	18	84
19	فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ...	19	182
20	وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ.	20	88 ،148
21	وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ ...	21	73 ،88 ،148 ،168 ،169

22	قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ ...	**22**	**25، 55 ،118**
23	وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ...	23	**11،27 ،42،44 ،74 ،119 ، 123 ،170 ،172**
24	۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ...	**24**	**27 ،52 ،71**
25	قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ.	25	**29 ،158**
26	قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ.	**26**	**42 ،63 ،158**
27	قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.	27	**31 ،42 ،71**
28	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ ...	**28**	**1 ،98، 105**
29	وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ	29	**145، 152**
30	قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا ...	**30**	**153**
31	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي ...	31	**32 ،99 ،101 ،138 ،154 ، 167**
32	قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُم..	**32**	**32 ،154 ،167**
33	وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ ...	33	**32 ،154 ،167 ،183**
34	وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا ...	**34**	**94،96 ،101 ،117 ، 137،153**
35	وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ	35	**145**
36	قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ...	**36**	**44،52، 57 ،60، 70 ،170،178،179**
37	وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا...	37	**53،67، 178 ،179**
38	وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ	**38**	**54،67 ،183**
39	قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ...	39	**52،53، 57 ،60، 70 ،170،178،179**
40	وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ ...	**40**	**33 ،74 ،154 ،167**
41	قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا ...	41	**33 ،154 ،167**
42	فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ...	**42**	**33 ،155 ،167 ،184**

43	وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ...	43	**131**
44	وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ...	**44**	**136، 99**
45	وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ...	45	**136، 96**
46	۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ...	**46**	**158، 135، 133، 107**
47	قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا ...	47	**166، 116**
48	قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ	**48**	**166، 159، 132، 73، 50**
49	قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ	49	**133، 159**
50	قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ...	**50**	**116، 69، 68، 43**
51	وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ	51	**155**
52	وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ	**52**	**155، 156**
53	وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ	53	**117، 156**
54	وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم...	**54**	**157**
سورة فاطر			
1	مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ....	2	**63**
2	وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا....	31	**59**
سورة يس			
1	وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ	43	**57**
3	وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	48	**152**
سورة الصافات			
1	قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ	29	**33**
2	وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ	30	**33**
3	سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ	180	**55**

سورة ص			
1	قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ....	82	2
2	إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ	83	2
سورة الزمر			
1	مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى	22	118، 26
2	قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ...	32	66
سورة غافر			
1	رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا	7	49
2	وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ....	20	59
3	لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ...	57	151
4	فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا....	84	156
سورة فصلت			
1	فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ	12	162
2	وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى	17	66
3	لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ....	42	159
4	وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي....	50	146
سورة الشورى			
1	وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ....	6	61
2	وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ....	10	73
3	وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا....	28	56
-			

سورة الزخرف			
1	وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ....	23	**153**
2	قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ....	24	**153**
سورة الذاريات			
1	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ...	**3**	**1**
2	إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ	58	**52**
سورة النجم			
1	وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا....	26	**170**
سورة القمر			
1	إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ	49	**165**
سورة الحشر			
1	لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ....	20	**174**
2	هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ....	**23 ، 24**	**41**
سورة الصف			
1	يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي....	12	**47**
سورة الجمعة			
1	ذَلِك فضل الله يؤتيه من يَشَاء وَالله ذُو الْفضل الْعَظِيم	4	**58**
سورة التحريم			
1	نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ	3	**46**
سورة الملك			
1	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	25	**152**

سورة القلم			
1	فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ	30	**33**
سورة الجن			
1	عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا	**26**	**50**
سورة نوح			
1	وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا	23	**34**
سورة القيامة			
1	إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ	17	**128**
سورة النبأ			
1	عمَّ يتساءلون	1	**93**
2	عن النبأ العظيم	2	**93**

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	رقم الصفحة
1	يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أُقَاتِلُ مَنْ أَدْبَرَ مِنْ قَوْمِي بِمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ؟ فَأَذِنَ لِي ...	9
2	لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ...	20
3	أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ	21
4	قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا	45
5	لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير	47
6	مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَه	47
7	لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ	48
8	لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ	49
9	اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	50
10	مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ	50
11	لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ	52
12	مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ	53
13	إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ	54
	أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ	55
14	قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ	56
15	إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ	57
16	إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ	57
17	أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ	59
18	أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ	60
19	أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ	61
20	يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ	62

21	أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ	63
22	فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ	64
23	فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: "وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا، مَا دُمْتُ فِيهِمْ"	65
24	انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ	68
25	" يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي	68
26	إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ	70
27	إِنَّ اللَّهَ هُوَ المُسَعِّرُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الرَّزَّاقُ	70
28	اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ...	72
29	إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ شُفِّعْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ أَدْخِلِ الجَنَّةَ	74
30	إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فُزِّعَ	75
31	أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا	86
32	أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ	87
33	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ	89
34	لَا يَرْزُقُ اللهُ عَبْدًا الشُّكْرَ فَيَحْرِمَهُ الزِّيَادَةَ لَأَنِ اللهَ	89
35	فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَلاَ تَزِدْ عَلَيْهِ	97
36	لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَثْنَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ، فَوَلَدَتْ	97
37	أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ	98
38	إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا	98
39	أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ	102 ،137
40	أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ	106
41	أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم	115
42	فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ	125
43	يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ	141
44	إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ	142

45	إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ	168
46	مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ	178
47	إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرْفَةَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ	180
48	إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا	180

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – ت: محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣. الإرشاد إلى توحيد رب العباد – عبد الرحمن بن حماد آل عمر – دار العاصمة، الرياض – المملكة العربية السعودية – ط٢ – ١٤١٢هـ.

٤. الإيمان لابن تيمية – دار الكتب العلمية، بيروت – ط١ – ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

٥. الأسماء والصفات للبيهقي– ت: عبد الله بن محمد الحاشدي – مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية – ط١ – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م – ج١، ص٢٩٤، ابن كثير.

٦. الأمثال – أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ) – ت: الدكتور عبدالمجيد قطامش – دار المأمون للتراث– ط١ – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.

٧. البحر المحيط في التفسير – أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) – ت: صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٤٢٠ هـ.

٨. البداية والنهاية – ابن كثير – ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي – دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – ط١ – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م – سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٩. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) – الدار التونسية للنشر – تونس – ١٩٨٤هـ.

١٠. التعريفات – علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) – ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط١ – ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

١١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم – محمد سيد طنطاوي – دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة – ط١.
١٢. التوحيد – محمد بن عبد الوهاب – ت: عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد وغيره – جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – ت: محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – ط١ – ١٤٢٢هـ.
١٤. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) – ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة– ط٢.
١٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) – ت: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد – دار العاصمة، السعودية – ط٢ – ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
١٦. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) – ابن قيم الجوزية – دار المعرفة – المغرب – ط١ – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٧. الجواهر المضية – محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) – دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية بمصر– ط١ – ١٣٤٩هـ، النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ.
١٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور – عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – دار الفكر – بيروت.
١٩. الرد على الجهمية والزنادقة – أحمد بن حنبل – ت: صبري بن سلامة شاهين – دار الثبات للنشر والتوزيع – ط١.
٢٠. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة – ابن قيم الجوزية– دار الكتب العلمية – بيروت.

٢١. الزاهر في معاني كلمات الناس – محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) – ت: د. حاتم صالح الضامن – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ – ١٤١٢ هـ –١٩٩٢ – ج١ – ص٤٨٦، معجم مقاييس اللغة.
٢٢. السيرة النبوية لابن هشام – عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) – ت: طه عبد الرءوف سعد – شركة الطباعة الفنية المتحدة.
٢٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) – ت: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – ط٤ – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
٢٤. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة –ابن قيم الجوزية – ت: علي بن محمد الدخيل الله – دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية –ط١ – ١٤٠٨هـ.
٢٥. العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) – للسفاريني – ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود – مكتبة أضواء السلف – الرياض – ط١ – ١٩٩٨.
٢٦. العقيدة الواسطية(اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة) – شيخ الإسلام ابن تيمية – ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود – أضواء السلف – الرياض – ط٢ – ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢٧. العين – أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) – ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال.
٢٨. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – شيخ الإسلام ابن تيمية – ت: عبد القادر الأرناؤوط – مكتبة دار البيان، دمشق – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
٢٩. الفروق اللغوية – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) – ت: محمد إبراهيم سليم – دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
٣٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) – مكتبة الخانجي – القاهرة – ج٤ – ص٦٦، بتصرف.

٣١. القاموس المحيط – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) – ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – محمد نعيم العرقسُوسي – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – ط٨ – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م – ص٣٢٤.

٣٢. القصيدة النونية للقحطاني – لعله أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، المعافري الأندلسي المالكي (المتوفى: ٣٧٨هـ) – ت: عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع – دار الذكرى – ط١.

٣٣. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى – محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) – الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – ط٣ – ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٣٤. القول المفيد على كتاب التوحيد – محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) – دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية – ط٢ – ١٤٢٤هـ.

٣٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٣ – ١٤٠٧ هـ.

٣٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية – أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) – ت: عدنان درويش – محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت – ص٧٢٠، انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم.

٣٧. المحكم والمحيط الأعظم – أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) – ت: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٣٨. المخصص – أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) – ت: خليل إبراهم جفال – إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٣٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم) – مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – ت: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٠. المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) – الناشر: دار الدعوة.

٤١. الملل والنحل – أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) – مؤسسة الحلبي.
٤٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٢ – ١٣٩٢هـ.
٤٣. النبوات – شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية – ت: عبد العزيز بن صالح الطويان – أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية – ط١ – ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٤٤. النهاية في غريب الحديث والأثر – ت: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) – المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.
٤٥. إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) – ت:جماعة من العلماء بإشراف الناشر – دار الكتب العلمية – لبنان – ط١ – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٤٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن قيم الجوزية – ت: محمد عبد السلام إبراهيم – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
٤٧. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – ابن قيم الجوزية – ت: محمد حامد الفقي – مكتبة المعارف – الرياض.
٤٨. أحكام القرآن – القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط٣ – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤٩. أساس البلاغة – أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) – ت: محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٥٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) – دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.

٥١. أمراض القلب وشفاؤها لشيخ الإسلام ابن تيمية – المطبعة السلفية – القاهرة – ط٢ – ١٣٩٩هـ.
٥٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) – ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي – دار إحياء التراث العربي – بيروت– ط١ – ١٤١٨ هـ.
٥٣. بدائع الفوائد – ابن قيم الجوزية – دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٥٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) – ت: محمد علي النجار – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٥٥. تاج العروس من جواهر القاموس – بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) – ت: مجموعة من المحققين – دار الهداية.
٥٦. تبسيط العقائد الإسلامية – حسن محمد أيوب (المتوفى: ١٤٢٩هـ) – دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان – ط٥ – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٥٧. تخريج العقيدة الطحاوية – أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) – ت: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٢ – ١٤١٤ هـ.
٥٨. تفسير ابن عرفة – محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ) – ت: جلال الأسيوطي – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٥٩. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (المتوفى: ٧٧٤هـ) – تحقيق: سامي بن محمد سلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م – ط٢.
٦٠. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) – محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) – ت: د. مجدي باسلوم – دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – ط١ – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٦١. تفسير الماوردي = النكت والعيون – أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) – ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ج٤ – ص٤٣١.

٦٢. تفسير المراغي – أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر – ط١ – ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

٦٣. تفسير مقاتل بن سليمان – أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ) – ت: عبد الله محمود شحاته – دار إحياء التراث – بيروت – ط١ – ١٤٢٣ هـ.

٦٤. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل – محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) – ت:عماد الدين أحمد حيدر – مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان – ط١ –، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٦٥. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ) – جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) – دار الكتب العلمية – لبنان – ص٣٥٩، في ظلال القرآن – ج٥ – ص ٢٨٩٣.

٦٦. تهذيب اللغة – محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) – ت: محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – ٢٠٠١م.

٦٧. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد – سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ) – ت: زهير الشاويش – المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق – ط١ – ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٦٨. جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ت:أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م – ط١.

٦٩. درء تعارض العقل والنقل – ابن تيمية – ت: الدكتور محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية – ط٢ – ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٧٠. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لبيهقي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٠٥ هـ – ج١ – ص١٢، جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج١٩ – ص٣٠٤، جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

٧١. ذم التأويل – ابن قدامة – ت: بدر بن عبد الله البدر – الدار السلفية – الكويت – ط١ – ١٤٠٦هـ.

٧٢. رد المحتار على الدر المختار – ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) – دار الفكر-بيروت – ط٢ – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٧٣. رواه الترمذي في سننه (سنن الترمذي) – محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) – ت: أحمد محمد شاكر – ومحمد فؤاد عبد الباقي – وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط٢ – ١٣٩٥هـ.

٧٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي) – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) – ت: علي عبد الباري عطية– دار الكتب العلمية – بيروت– ط١ – ١٤١٥ هـ.

٧٥. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) – محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ) – ت: سهيل زكار – دار الفكر – بيروت – ط١ – ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

٧٦. شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية – محمد بن صالح بن العثيمين – دار الوطن للنشر، الرياض – ط١ – ١٤٢٦ هـ.

٧٧. شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية – محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: ١٣٩٥هـ) – ت: علوي بن عبد القادر السقاف – دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر – ط٣ – ١٤١٥ هـ.

٧٨. شرح أصول العقيدة – أ. د. نسيم ياسين – ط٦ – ٢٠١١م.

٧٩. شرح ثلاثة الأصول – محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) – دار الثريا للنشر – ط٤ – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٨٠. شعب الإيمان – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) – ت: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد – مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند– ط١ – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٨١. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – ابن قيم الجوزية – دار المعرفة، بيروت، لبنان – ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٨٢. صحيح الجامع الصغير وزياداته – الألباني – المكتب الإسلامي.
٨٣. طريق الهجرتين وباب السعادتين – ابن القيم – دار السلفية – القاهرة – ط٢ – ١٣٩٤.
٨٤. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين –ابن قيم الجوزية – دار ابن كثير، دمشق، بيروت – مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية – ط٣ – ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٨٥. غرائب القرآن ورغائب الفرقان – نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) – ت: الشيخ زكريا عميرات – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٦ هـ.
٨٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ – رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي – قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب – عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
٨٧. في ظلال القرآن – سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) – دار الشروق – بيروت– القاهرة – ط١٧ – ١٤١٢ هـ.
٨٨. لسان العرب – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) – دار صادر – بيروت – ط٣ – ١٤١٤ هـ.
٨٩. لمعة الاعتقاد – أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الشهير بابن قدامة المقدسي –وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية – ط٢ – ١٤٢٠هـ.
٩٠. لمعة الإعتقاد شرح ابن عثيمين – محمد بن صالح العثيمين – ت:أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – مكتبة طبرية – ط٣ – ١٤١٥م–١٩٩٥م.

٩١. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية – شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) – مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق – ط٢ – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

٩٢. مباحث في علوم القرآن – مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – ط٣ – ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٩٣. متن القصيدة النونية – ابن قيم الجوزية– مكتبة ابن تيمية، القاهرة – ط٢ – ١٤١٧هـ.

٩٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة النبوية – ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٩٥. محاسن التأويل – محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) – ت: محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلميه – بيروت– ط١ – ١٤١٨ هـ.

٩٦. مختار الصحاح – زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) – ت: يوسف الشيخ محمد – المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا – ط٥ – ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٩٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (مدارج السالكين) – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي – دار الكتاب العربي – بيروت ١٤١٦هـ،١٩٩٦م.

٩٨. مشكاة المصابيح – محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ) – ت: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٣ – ١٩٨٥م .

٩٩. معالم السنن (شرح سنن أبي داود) – أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) – المطبعة العلمية – حلب – ط١ – ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

١٠٠. معالم السنن (شرح سنن أبي داود) – أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ) – المطبعة العلمية – حلب – ط١ – ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

١٠١. معجم اللغة العربية المعاصرة – د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) – عالم الكتب – ط١ – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م – ج١.
١٠٢. معجم لغة الفقهاء – محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي – دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – ط٢ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م – ج١.
١٠٣. معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) – ت: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٠٤. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (تفسير الرازي) – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٣ – ١٤٢٠ هـ.
١٠٥. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم – محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) – ت: د. علي دحروج – مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ط١ – ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
1	**إهداء.**	**ت**
2	**شكر وتقدير.**	**ث**
3	**المقدمة.**	1
4	**التمهيد.**	8
5	**الفصل الأول: منهج سورة سبأ في تقرير الإلهيات.**	17
6	**المبحث الأول: منهج سورة سبأ في تقرير التوحيد.**	18
7	المطلب الأول: تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً.	19
8	المطلب الثاني: منهج السورة في تقرير عقيدة التوحيد وإبطال ما سواها.	22
9	**المبحث الثاني: دلالة سورة سبأ على الايمان بأسماء الله وصفاته.**	36
10	المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات لغة واصطلاحاً.	37
11	المطلب الثاني: موقف السلف ومنهجهم في إثبات الأسماء والصفات.	39
12	المطلب الثالث: الأسماء التي وردت في سورة سبأ.	41
13	المطلب الرابع: صفات الله العلى التي وردت في سورة سبأ.	44
14	**المبحث الثالث: الشكر والكفر بالنعم في سورة سبأ.**	76
15	المطلب الأول: الشكر والكفر لغة واصطلاحاً.	77
16	المطلب الثاني: الشكر والكفران في سورة سبأ.	81
17	المطلب الثالث: وجوب الشكر، والنهي عن الكفر.	86
18	المطلب الرابع: فضل الشكر.	89
19	**الفصل الثاني: منهج سورة سبأ في تقرير النبوات.**	91
20	**المبحث الأول: الأنبياء عليهم السلام ووظائفهم في سورة سبأ.**	92
21	المطلب الأول: تعريف النبي والرسول في اللغة والاصطلاح.	93

م	الموضوع	رقم الصفحة
22	المطلب الثاني: الأنبياء في سورة سبأ.	96
23	المطلب الثالث: ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سورة سبأ.	98
24	المطلب الرابع: تفاضل الأنبياء في سورة سبأ	103
25	المطلب الخامس: منهج سورة سبأ في إثبات أن الرسل لم يأتوا بما تحيله العقول.	107
26	**المبحث الثاني: اتهامات المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم في سورة سبأ.**	110
27	المطلب الأول: اتهامات المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم في سورة سبأ.	111
28	المطلب الثاني: منهج سورة سبأ في الرد على المستهزئين والمكذبين للنبي.	113
29	**المبحث الثالث: منهج سورة سبأ في تقرير الشفاعة لمن أذن له.**	120
30	المطلب الأول: الشفاعة لغة واصطلاحاً.	121
31	المطلب الثاني: الشفاعة التي نفتها سورة سبأ.	123
32	المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في إثبات الشفاعة.	124
33	**المبحث الرابع: منهج سورة سبأ في التقرير بأن القرآن من عند الله والرد على الطاعنين.**	127
34	المطلب الأول: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.	128
35	المطلب الثاني: الطعونات الموجهة للقرآن في سورة سبأ.	130
36	المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في الرد على الطعونات الموجهة للقرآن.	132
37	**الفصل الثالث: منهج سورة سبأ في تقرير الغيبيات.**	139
38	**المبحث الأول: منهج سورة سبأ في تقرير البعث والرد على المنكرين..**	140
39	المطلب الأول: تعريف الساعة والبعث.	141
40	المطلب الثاني: إنكار المشركين قيام الساعة والبعث في سورة سبأ.	144
41	المطلب الثالث: منهج سورة سبأ في اثبات الساعة والرد على المنكرين.	147
42	**المبحث الثاني: منهج سورة سبأ في تقرير عقيدة القضاء والقدر.**	161
43	المطلب الأول: القضاء والقدر لغة واصطلاحاً.	162

م	الموضوع	رقم الصفحة
44	المطلب الثاني: منهج سورة سبأ في تقرير مراتب القضاء والقدر.	165
45	**المبحث الثالث: منهج سورة سبأ في إثبات الجزاء للمؤمنين والعقاب للظالمين.**	173
46	المطلب الأول: تعريف الجزاء والعقاب لغة واصطلاحاً.	174
47	المطلب الثاني: الجزاء (الثواب) في سورة سبأ.	177
48	المطلب الثالث: العقاب في سورة سبأ.	181
49	**الخاتمة والتوصيات.**	186
50	**ملخص البحث.**	188
51	**فهرس**	191
52	**فهرس الآيات**	192
53	**فهرس الأحاديث**	203
54	**فهرس المصادر والمراجع**	206
55	**فهرس المواضيع**	217